رواية (في ممر الفئران)
للكاتب أحمد خالد توفيق (١٩٦٢-٢٠١٨م)
في مرآة المنهج التفكيكي

إعداد

د. فاطمة محمد قطب محمد

قسم الأدب والنقد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط- جامعة الأزهر

رواية في ممر الفئران للكاتب أحمد خالد توفيق (١٩٦٢-٢٠١٨م) في مرآة المنهج التفكيكي

فاطمة محمد قطب محمد

قسم الأدب والنقد- كلية البنات الإسلامية بأسيوط- جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

الملخص:

تعد التفكيكية من نظريات ما بعد الحداثة، ظهرت بعد البنيوية، نتيجة لعوامل سياسية وثقافية واجتماعية مضطربة ألمت بالعالم الغربي بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فانعكس أثر هذه الحياة القلقة المضطربة على الأدب؛ فأفرز تلك الحركة النقدية التي دعا إليها العالم الغربي "دريدا"، ونظرا لغرابة مصطلحاتها ومرتكزاتها؛ تناولها الكثير من الباحثين بالدراسة، وفي الوقت نفسه تجاهلها الكثير من الدارسين لأنها لم تستند على المنطق والعقل، وتنادي بتعدد المعاني واختلافها، وهذا كله دفعني إلى دراسة هذا المنهج النقدي المثير للجدل؛ الذي تأثر به نقادنا وأدباؤنا العرب، محاولة توضيح مصطلحاته ومرتكزاته وتطبيقها على رواية(في ممر الفئران) للكاتب أحمد خالد توفيق ذلك المؤلف الفذ العبقري الذي كان له طابع مميز في أغلب رواياته، وقد اخترت تلك الرواية بالتحديد لما فيها من تناقضات واختلافات، تطرح السؤال حول السؤال، فهي مغلفة بفلسفة جمالية، تحمل في داخلها أفكارا مبهمة عن أوضاع الشعوب العربية، والقراءة التفكيكية تجد في النصوص الفلسفية التي يلفها الغموض مجالا خصبا للتأويل والتفسير.

الكلمات المفتاحية: التفكيك، دراسة، تحليلية، نقدية

A novel in the passage of mice by the writer Ahmed Khaled Tawfiq (1962-2018 AD) in the mirror of the deconstructive approach

Fatima Muhammad Qutb Muhammad
Department of Literature and Criticism - Islamic Girls College in Assiut - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt
Email: Fatmakotb973.el@azhar.edu.eg

Summary:
Deconstruction is one of the postmodern theories, which emerged after structuralism, as a result of turbulent political, cultural and social factors that afflicted the Western world, especially after World War II. The impact of this turbulent, anxious life was reflected on literature. So he produced that critical movement called for by the Western world, "Derrida", and given the strangeness of its terminology and its foundations; Many researchers studied it, and at the same time many scholars ignored it because it was not based on logic and reason, and called for multiple and different meanings, and all of this prompted me to study this approach. controversial cash; Which affected our Arab critics and writers, an attempt to clarify its terminology and its foundations and apply them to the novel (In the Passage of the Mice) by the writer Ahmed Khaled Tawfiq, that author of the genius feat who had a distinctive character in most of his novels, and I chose that novel specifically because of its contradictions and differences, it raises the question about The question, as it is wrapped in an aesthetic philosophy, carries within it vague ideas about the conditions of the Arab peoples, and the deconstructive reading finds in philosophical texts shrouded in ambiguity a fertile field for interpretation and interpretation.

Keywords: deconstruction, study, analytical, critical

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الألسن واللغات، والصلاة والسلام على خير من بنى دعائم الإسلام وأسس أركانه، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

فالتفكيكية من نظريات ما بعد الحداثة، ظهرت بعد البينونة، نتيجة لعوامل سياسية وثقافية واجتماعية مضطربة ألمت بالعالم الغربي بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فانعكس أثر هذه الحياة القلقة المضطربة على الأدب؛ فأفرز تلك الحركة النقدية التي دعا إليها العالم الغربي "دريدا"، ونظرا لغرابة مصطلحاتها ومرتكزاتها؛ تناولها الكثير من الباحثين بالدراسة، وفي الوقت نفسه تجاهلها الكثير لأنها لم تستند على المنطق والعقل، وتنادي بتعدد المعاني واختلافها، وهذا كله دفعني إلى دراسة هذا المنهج النقدي المثير للجدل؛ الذي تأثر به نقادنا وأدباؤنا العرب، محاولة تفسير رواية(في ممر الفئران) في ضوء مرتكزات ومقولات المنهج التفكيكي، والرواية للكاتب أحمد خالد توفيق الذي كان له طابع مميز في أغلب رواياته، وقد اخترت تلك الرواية بالتحديد لما فيها من تناقضات واختلافات، مغلفة بفلسفة جمالية، تحمل في داخلها أفكارا غائبة (مسكوتا عنها)عن أوضاع الشعوب العربية، والقراءة التفكيكية تجد في النصوص الفلسفية مجالا للتأويل والتفسير.

هذا ولم توجد دراسة سابقة تناولت رواية (في ممر الفئران) في مرآة المنهج التفكيكي، ولكن هناك بعض الدراسات السابقة التي تتعلق بالموضوع بشكل غير مباشر ـــ وهي بعيدة كل البعد عن معالجة

الموضوع ــ منها:

ــ بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٣م.

ــ من حكايات سنورس وتجسيد النزعة التفكيكية، تأليف: غيضان السيد علي، الناشر: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، العدد ٣٥٦، يناير ٢٠١٧ م.

ــ الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة قراءة في رواية" في ممر الفئران"، تأليف: مجدولين علي عبد الرحمن المساعفة، الناشر: جامعة جرش، العدد٢، ٢٠٢٢م.

جاء بحثي بعنوان [رواية في ممر الفئران للكاتب أحمد خالد توفيق (١٩٦٢ ــ ٢٠١٨م) في مرآة المنهج التفكيكي]، وفقا لمنهج وطبيعة البحث في مقدمة وتمهيد وستة مباحث:

المبحث الأول: الاختلاف والإرجاء في عنوان الرواية وغلافها.

المبحث الثاني: تشظي شخصيات الرواية وتشتتها.

المبحث الثالث: رفع المُهَمَّش إلى المركزية في أحداث الرواية.

المبحث الرابع: الحضور والغياب في أسلوب الرواية.

المبحث الخامس: تماهي الزمان في المكان وانفلاتهما في الرواية.

المبحث السادس: تناقض نهاية الرواية وكثرة تساؤلاتها.

الخاتمة وتشمل ما توصلت إليه من نتائج؛ ثم المراجع التي استعنت بها، وبعد..

فقد حاولت تسليط الضوء على المنهج التفكيكي وتوظيف مصطلحاته

ومرتكزاته في رواية (في ممر الفئران)، لاكتشاف بعض التفسيرات والدلالات المختلفة الغائبة التي دفعت المؤلف إلى السكوت عنها، فإن أفلحت فهو توفيق من الله عز وجل، وإن أخفقت فالكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

(الكاتب ـ الرواية ـ التفكيكية)

التعريف بالكاتب

أحمد خالد توفيق فراج: مؤلف وروائي وطبيب مصري من مواليد ١٠ يونية ١٩٦٢م، ولد بمدينة طنطا في محافظة الغربية، وقد تخرج في كلية الطب عام ١٩٨٥، وحصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام ١٩٩٧م، وترقى في وظيفته أستاذ جامعي بجامعة طنطا(١) .

يعد أحمد خالد توفيق أول كاتب في مجال أدب الرعب والفانتازيا والخيال العلمي، ولقب بالعرَّاب، ألَّف روايات حققت نجاحا جماهيريا واسعا، وأشهرها (يوتوبيا) عام ٢٠٠٨م، ورواية (مثل إيكاروس) عام ٢٠١٥م، ورواية (في ممر الفئران) عام ٢٠١٦م، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى، وتوفي رحمه الله في أبريل عام ٢٠١٨م عن عمر يناهز خمسة وخمسين عاما إثر أزمة قلبية، وقد تميز بأسلوبه المُمْتِع المُشَوِّق؛ مما أكسبه قاعدة كبيرة من الجمهور والقراء(٢).

نبذة عن الرواية

رواية (في ممر الفئران) من روايات الديستوبيا، والديستوبيا "فكرة

---

(١) انظر كتَّاب وروائيون عرب في أدب التخيل العلمي ــ تأليف: محمود قاسم، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٢٢م، ص١٤١.

(٢) انظر التناص في السخرية الأدبية عند أحمد خالد توفيق (دراسة نقدية)، تأليف: إسلام عبد اللطيف إبراهيم محمد، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٢٢م، ص١٣٩ ــ ١٤٠.

منطلقة من الواقع المخيِّب لأصحابه، مستشرفة المستقبل الذي يبدو مُرَوِّعا، في مكان يتصف بالضعة والخبث، تحمل صورة أكثر قتامة من ظواهر قائمة بالفعل"[١]، كتبت عام ٢٠١٦م قبل وفاة الكاتب بعامين، وقدَّم فيها رؤية مستقبلية لمصير العالم العربي، فذكر في المقدمة " لعل السبب الذي دفعني لهذه المعالجة هو أن الفكرة بدت لي في رمزيتها ملامسة للواقع الذي تحياه شعوبنا العربية حاليا في مخاضها نحو الحرية والقيم الإنسانية العالمية"[٢]، فالرواية تعكس رؤى الكاتب الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛ التي لم يصرح بها وتركها لثقافة المتلقي وخبرته ومعرفته بما يحدث حوله في العالم العربي، ممَّا يجعلها تحتمل تأويلات وتفسيرات غير محددة، واستعان بتقنيات الخيال العلمي التي تثير تردد المتلقي وحيرته، فهي تدور حول شخص يدعى (الشرقاوي) متزوج وله طفلان، يكره حياته المملة، يتناول كل يوم قرص منوم لينام، وذات يوم بعد تناوله القرص دخل في غيبوبة، الأطباء أكدوا ذلك، دخل (الشرقاوي) أثناء الغيبوبة في عالم الظلام، الحياة فيه كئيبة تختلف عن حياته المُمِلَّة التي تمنى أن يعود إليها بعد ما رأى في عالم الظلام من خوف وهلع وقسوة، رأي في عالم الظلام رامي وفاتن وماهر ونجوان ومها..، هذه الشخصيات ناقمة على حياتها، لأنها تعيش في

---

(١) تشكيل الشخصية في الرواية الديستوبيا، تأليف: نجدي عبد الستار محمد نجدي، الناشر: المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، العدد التاسع، أبريل ٢٠٢٠م، ص٤٢.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، طبع: الكرمة للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٥.

ظلام، والناس فوق جبل (الهيمالايا) تعيش في النور، لذا طالبوا بحقهم في النور، واختاروا (الشرقاوي) ليمثلهم ولكنه خذلهم .

مفهوم التفكيكية:

التفكيكية "تيار فلسفي وأدبي ظهر في ستينيات القرن العشرين، فهي منهجية لمقاربة الظواهر الفلسفية والتاريخية والأدبية تشريحا وتفكيكا وتقويضا"(١)، مصطلح يشير إلى التفتيت والتشتت والتبعثر، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في لسان العرب، "فَكَّ الشيءَ يفُكُّه فكًّا فانْفَكَّ: فصلهُ، وفكَّ بعض أجزائه عن بعض"(٢).

فالتفكيك "منهج في القراءة أبدعه جاك دريدا، وهو لذلك يعد اتجاها من اتجاهات نظريات التلقي والقراءة"(٣)، وقد ألف العديد من الكتب حول التفكيكية، منها: علم الكتابة، الكتابة والاختلاف، التشتيت، وهذا المنهج من المناهج النقدية التي ظهرت ردا على البينونة والسميوطيقا والتأويلية، "ويقصد بتفكيك النص تقويضه وهدمه، وإدخاله في صراع اختلافي مع ذاته(٤)، فتفكيك النص دلالة على أنه مركب يتألف من عدد من النصوص

---

(١) التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، الناشر: مجلة الأزمنة الحديثة، العدد٧، المجلد ٦، ص ١٩٩.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ت ٧١١ه، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبع: دار المعارف، القاهرة، مادة فكك.

(٣) مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، طبع: دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه ـــ ٢٠٠٩م، ص١٨٧.

(٤) انظر التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٠.

الأخرى، ولكن هذا التفكيك خليق على أن يكشف في الوقت ذاته عن الطريقة التي أمكن بها تركيب النص في أول الأمر"[١]، فهو آلية للتفكيك والتركيب والهدم والبناء في آن واحد.

وهنا ثمة أسئلة كثيرة تدور في الذهن يجب طرحها، وتحتاج إلى إجابة، لماذا نفعل آلية الهدم والبناء داخل النص؟ وما كيفيتها؟ ومن الذي يمارسها؟ وهل كل النصوص تمتثل للنزعة التفكيكية؟ وما ضابطها؟ وما الهدف منها؟ وللإجابة على كل ذلك ينبغي التعرف بعمق على المنهج التفكيكي، نفعل آلية الهدم والبناء لأن في النص نفسه تناقضا يدعو إلى تفكيك النص، وهذا ما صرح به جاك دريدا حيث قال:" ما يهمني في القراءات التي أحاول إقامتها، ليس النقد من الخارج، وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية، يقرأ النص من خلالها نفسه ويفك نفسه بنفسه.. ففي النص قوى متنافرة تأتي لتقويضه وتجزئته"[٢]، وهذا يعني أن النصوص التقليدية المباشرة التي تفصح عما أراد الكاتب قوله، وتفهم مباشرة بدون تأويل ولا فلسفة، ويقبلها العقل والمنطق، وكانت خالية من التناقض والإبهام، فهذه النصوص لا تمتثل للنزعة التفكيكية، أما عن كيفية إجراء التفكيك فيكون من خلال القارئ فهو الذي يعيد كتابة النص، صاحب الكتابة

---

(١) جاك دريدا والتفكيك، تأليف: د. أحمد عبد الحليم عطية، طبع: دار الفارابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص٢١.

(٢) الكتابة والاختلاف، تأليف: جاك دريدا، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، طبع: دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية٢٠٠٠م، ص٤٩.

الثانية، فمهمته" كشف التناقضات والاختلافات الفكرية، وترجيح الهامش على المركز، ومن المعلوم أن التأويل لا يوجد داخل النص أو في مرجعه، بل يمارسه القارئ لاستكناه الدلالات المتناقضة فيما بينها اختلافا وتلاشيا وتصادما، فليس هناك دلالة معينة داخل النص، بل يحلل القارئ النص في ضوء تجربته الشخصية"(١)، وقراءاته المتعددة السابقة، والهدف منه "إنتاج تفسيرات لنصوص خاصة؛ للبحث عن معانيه الخفية، وأبعاده الماورائية، وهو يحتاج إلى قارئ ذي قدرات عالية يستطيع التعامل مع الشفرات اللغوية التي يعالج بها معنى النص"(٢)، ويتمكن من ملأ الفجوات التي تركها الكاتب.

ثانيا : أبرز مرتكزات التفكيكية ومصطلحاتها:

ترتكز القراءة التفكيكية للنص على معايير ــ هي امتداد لما سبقها من قراءت نقدية ـــ تثير الغرابة، منها:

ــ <u>عدم الاحتكام إلى العقل والمنطق، و"نقد فكرة الهوية والجذور الأصلية:</u> يرفض جاك دريدا التمركز العقلي حول فكرة معينة، ويمقت كل انطواء على تسييد العرق أو الجذر أو الإيمان بهيمنة عنصر على آخر، كأن ندافع عن الرجل الأبيض ضد الرجل الأسود(٣)، والتفكيك يشكل تحديا لفكرة البنية

---

(١) التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٥.

(٢) مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٨٧.

(٣) انظر التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٢.

ذاتها، ذلك أن البنية تفرض على الدوام وجود مركز، ومبدأ ثابت، وتراتبية معان"[١]، معنى ذلك أن التفكيك والتركيب في حركة دائرية مستمرة، يقوم القارئ التفكيكي بتفكيك النص لما فيه من تناقض، ثم يركب فكرة تكونت في ذهنه عبر ثقافته وقراءاته، ثم يقرأ النص مرة أخرى، فتحضر فكرة جديدة تهدم الفكرة السابقة، ثم يبني فكرة أخرى جديدة وهكذا، وهي بذلك لا تخضع لفكرة ثابتة يقرها العقل والمنطق ولا مبدأ ثابت، "كل تفكيك ينفتح أمام تفكيك آخر، والتفسير الأخير لقراءة تفكيكية لا يمكن أن يكون نهائيا، حيث يخضع هو نفسه لعملية محو جديدة[٢]، فلا توجد قراءة محددة يقينية.

ـــ <u>عدم الاعتداد بالخارج النصي</u>: لا تعبأ القراءة التفكيكية بخارج النص من التعرف على ظروف وملابسات كتابته، ولا بفهم قصدية المؤلف ولا بالوقوف على سيرته الذاتية "فبمجرد أن يفرغ الكاتب من كتابته يصبح دائرة مستقلة كاملة منغلقة منفصلة عن ذات المبدع، فالنص القابل للتفكيك نص مفتوح لكثير من الاحتمالات، في الوقت الذي يمثل فيه بنية منغلقة، ليست بحاجة إلى أي شيء من الخارج يساعدنا على فهمها أو تحليلها تحليلا نقديا"[٣]، القارئ فقط من يؤول النص، ويقدم دلالات وتفسيرات للنص غائبة.

---

(١) مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٨٩.

(٢) انظر المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، طبع: عالم المعرفة، أبريل ١٩٩٨م، ص٣١٤.

(٣) انظر مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٠.

أما عن أبرز مصطلحات التفكيكية:

الاختلاف: مصطلح تفكيكي يفيد معنى المغايرة وعدم التوافق، وهذا الاختلاف ينتج من أن فهم النص يتغير بمرور الزمن، ويختلف من شخص إلى شخص، "ويطلق دريدا على العلاقة الاختلافية بمقتضى الغيرية التي تشوش حضور الوجود أو حضور الفكر الواعي اسم الأثر"(١)، وهذا الاختلاف في أفكار ومعاني النص يوحي بتعددها ووفرتها، حيث "تتسع مساحة الفجوة حتى تختفي العلاقة بين الدال ومدلوله، ولا تبقى في النهاية إلا الفجوة بين الاثنين، الفجوة التي يتحقق فيها اللعب الحر للمدلولات، وتتحقق لا نهائية الدلالة أو المعنى"(٢)، وطالما أن الدال لا يدل على مدلول محدد، تصبح المدلولات في تغير مستمر، ويصبح المعنى مشتتا.

الإرجاء: من مصطلحات التفكيكية الناتجة عن الاختلاف بين المعاني والدلالات، "فلغة الأدب عند التفكيكيين لا تعتمد فقط على مبدأ المخالفة أو التمايز.. بل على مبدأ الإرجاء، النص الأدبي لا يحدد المعنى بل يرجئه، أو يبقيه في حيز الإمكان، بحيث لا يكون علامة على معنى، بل هو نفسه منتج للمعنى"(٣)، فالمعنى مؤجل لحين ظهور دلالات أو إشارات موجودة في النص، أو لحين ظهور معرفة جديدة.

الحضور والغياب: وهذه الثنائية نتيجة طبعية لإرجاء المعاني، واتساع

---

(١) مدخل إلى علم التفكيك، تأليف: ميشل رايان، جوناثان كلر، وآخرون، تحرير وترجمة: حسام نايل، طبع: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٨م ص٣٧.

(٢) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، ص٣٠٤.

(٣) انظر مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٥.

الفجوة بين الدال والمدلول، فالدال يمثل الحضور، والمدلول يمثل الغياب، " فالحضور لم يعد حاضرا في النص إلا مقرونا بالغياب"(١)، فيحضر المعنى ثم يغيب، وهكذا..

فكرة الكتابة: إن الكتابة عند التفكيكيين وسيلة للتلاعب بين الألفاظ والمعاني، "فالتفكيك يعتمد الكتابة بدلا من الكلام، لأن الكلام في نظرهم يعني احتكار سلطة الخطاب، وإعطاء هذه السلطة للمتكلم، على حين أن الكتابة تمنح النص مزيدا من التفسيرات، وتكون الكتابة عندئذ إطارا للغياب والاختلاف والتعدد(٢)

وفي اعتقادي إنه منهج نقدي فرض نفسه على الساحة الأدبية، وكثرت حوله الدراسات، وبطبيعة الحال إن لكل منهج أدبي إيجابيات وسلبيات، والقارئ من يحدد مساره ويحاول أن يوظف الإيجابيات ويبتعد عن السلبيات، طالما أن المنهج التفكيكي يهتم بداخل النص ولا يعتد بخارجه، فيبقى تحديد المعاني والدلالات المتولدة من النص ترجع إلى المعطيات الثقافية والمعرفية للقارئ، وبذلك نستفيد من هذا المنهج الجديد، وعلى النقاد والقراء أن يأخذوا ما يتناسب مع تعاليم ديننا الحنيف وشريعتنا الغراء، ويتوافق مع عاداتنا وتقاليدنا، بخاصة إذا كانت مرتكزات هذا المنهج متبلورة من أفكار غربية، فمن الأفكار الغربية المتطرفة عدم استناد المنهج على مرجعية، وعدم احتكامه إلى العقل والمنطق، وهذا يخالف ما قرَّ في أذهاننا، فالأمة الإسلامية تحتكم إلى ما جاء في كتاب الله وسنة

---

(١) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، ص٣٣٣.
(٢) انظر مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٧.

رسوله صلى الله عليه وسلم، "ولذا يستحيل تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم فهو كلام الله عز وجل المعجز ولا الأحاديث النبوية الشريفة[١]، وقد راقني ما فعله المؤلف (وليد قصاب) حيث ضم المنهج التفكيكي في كتابه الموسوم بعنوان" مناهج النقدي الأدبي الحديث رؤية إسلامية "، وتناوله من منظور إسلامي، وكذلك من ضمن الأفكار الغريبة فكرة موت المؤلف، فالقارئ عندهم أساس النص، فهذه الفكرة غير منطقية لا يقبلها العقل، فبدون المؤلف، لم يكن هناك نص يقرأه المتلقي ويكثر حوله القيل والقال، وهذا ما أكده "بارت"حين قال" إن المؤلف الأكبر والأهم للنص هو الموروث الأدبي الذي يشكل سياقا مصدريا ومرجعيا للنص، مثلما يشكل أساسا لفهم النص وتفسيره بعد أن كان مصدرا لإنتاجه وحدوثه، وهذا لا يلغي المؤلف ولا يقلل من دوره"[٢]، فلولا المؤلف صاحب الكتابة الأولى لما كانت الكتابة الثانية للقارئ، فالقارئ يعيد كتابة النص معتمدا على كتابة المؤلف، وإبداع القارئ في التفسير والتأويل يأتي بعد إبداع المؤلف في كتابة النص، وتبقى مهمة الناقد الأريب أن يهتم بكل جديد، ويدرسه من كل الجهات حتى لا يرمى بالجهل والرجعية.

---

(١) التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٨.

(٢) نقد وحقيقة، تأليف: رولان بارت، ترجمة د/ منذر عياشي، طبع: مركز النماء الحضاري، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص١١.

المبحث الأول

الاختلاف والإرجاء في عنوان الرواية وغلافها

رواية (في ممر الفئران) من أكثر الرويات المصرية التي بدت فيها ملامح التفكيكية بشكل واضح، فالكاتب أحمد خالد توفيق طبيب، ومهنته تتطلب تشخيص المرض وتشريحه لمعرفة الأسباب المؤدية للمرض وعلاجه، فلا غرابة في أن يكون روائيا مفككا، فالتشريح هو التفكيك إلى جزيئات، والعلاج هو إعادة البناء، ولا شك أن القراءة التفكيكية تقوم على آلية التفكيك والتركيب والهدم والبناء.

ثنائية الاختلاف والإرجاء: من مصطلحات التفكيكية، فالاختلاف يفيد المغايرة، والإرجاء يفيد التأجيل، والتفكيكية تأبى التوافق والانسجام وتميل إلى الاختلاف، "انتقد دريدا تحقق فكرة الانسجام في النص، وفكرة الكلية العضوية المحددة، وأحادية المدلول، فالنص عنده تغيب فيه الدلالة، وتكثر فيه الاختلافات(١).

فالاختلاف في التفكيكية يلعب دور تحقيق الدلالة أي أن الدلالة ممكنة في ضوء الشطر الأول من الثنائية، وهنا يأتي الشطر الثاني وهو الإرجاء، وإذا كان الاختلاف عنصر تثبيت الدلالة، فالإرجاء عنصر تفكيكها"(٢).

الاختلاف يمثل (الدال) دلالة حضور، والإرجاء يمثل (المدلول) دلالة غياب، وعدم التوافق بينهما يتيح اللعب الحر للمدلولات، ويتعدد المدلول ويصبح

---

(١) انظر التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ١٩٩.

(٢) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، ص٣٢٩.

في حركة مستمرة يصعب تحديده.

عنوان الرواية: يمثل عتبتها ومَـدْخلها، ويلخـص مضـمونها، ويعطـي الانطباع الأول في ذهن القارئ، فيجب الاهتمام به واختياره بعناية لجـذب القراء، وهذا ما توفَّر في عنوان الرواية "في ممر الفئران" (في) حرف جر يفيد الظرفية مكانية أو زمانية، وهي هنا تدل علـى مكـان يسـمى ممـر الفئران، و(ممر) نفق ضيق في المبنى، وغالبا ما يكون مظلما، و(الفئران) لمَ اختار الكاتب الفئران بالتحديد؟ ربما لأن الفأر حيـوان ضـعيف جبـان، يفضل البقاء في الأماكن المظلمة؛ ويبتعد عن الضوء ليتصرف بحرية.

فالعنوان لم يكوِّن جملة مفيدة، ولم يرد في الرواية ذكر لفئـران علـى الحقيقة، وهذا يمثل الاختلاف وعدم المماثلة، (فممر الفئران) الـذي كـان مركزا في العنوان أصبح مهمشا داخل الأحداث، وبـذلك يكـون الروائـي المفكك رفع المهمش (عالم الظلام) إلى المركزية، وجعل أحـداث الروايـة تدور في عالم الظلام، مما يدل على ذلك غلاف الرواية الأسـود، كمـا أن الممر غير محدد مما يوحي بالجهل والتخبط، و(الممر الضيق) يرمز إلـى وعورة الطريق على من أراد عبوره لأنه مكان غير واضح المعالم، الأمـر الذي يجعل القارئ في حيرة ناتجة عن تعدد المدلولات.

ففهم النص يتغير بمرور الزمن، وتبقى المعانى والدلالات مؤجلة لحـين ظهور معرفة جديدة، أو ظهور إشارات داخل النص، تولـد وتنـتج دلالات غائبة متعددة.

والعنوان يعطى انطباعا عن الرواية قد يكون مباشرا، وقد يكون غامضا، ويتحدد ذلك بقراءتها كلها لمعرفة أوجه تلاقي التصور الذهني للرواية قبل قراءتها وبعد قراءتها، و"العنوان في أغلب الروايات المعاصرة يثير الدهشة

ويدعو إلى التأمل، لعدم وجود علاقة واضحة بين العنوان ومضمون الرواية[١]، فالعنوان في رواية(في ممر الفئران) يحمل دلالات رمزية ومعاني غامضة مختلفة، ويثير في الذهن أفكارا مبهمة تحتاج إلى توضيح، ومهمة القارئ الكشف عن التناقضات والتوترات التي تلف العمل الروائي.

والرواية تقع في ثلثمائة وتسع وسبعين صفحة، وتحمل عنوانا أساسا يتم تفكيكه إلى أحد عشر فصلا يحمل كل فصل عناونا فرعيا، وهي: ذكريات النور ــ في ممر الفئران وصول الشرقاوي ــ وارتطام، عصر جديد ــ ميلاد الخوف ــ النورانيون ــ أنت منَّا ــ فوق السحاب ــ المواجهة ــ نحو الذروة ــ أن تختار.

وأسماء العناوين الفرعية توضح أن أحداث الرواية تدور في عالم ينتشر فيه الظلام والخوف، بعد أن أصبح النور مجرد ذكرى، كما أنها تدل على أن هناك مجتمعين داخل الرواية، مجتمع يعيش في الظلام والآخر يعيش في النور، وهناك صراع بينهما دلَّ على ذلك: أنت منا ـــ المواجهة ـــ أن تختار.

غلاف الرواية أما غلاف الرواية فقد جسد مظاهر القلق والخوف فبدت صفحة الغلاف كلها سوداء، وفي نهايتها قدَّاحة يخرج منها ضوء خافت كضوء الشمعة، فالصورة تبعث الهلع والفزع، و(القداحة) وسيلة قديمة للحصول على النور ترمز إلى التخلف والرجعية والتأخر بالنسبة لواقعنا المعاش، ومن المدهش أن الغلاف لا يوجد فيه فئران على الإطلاق ولا

---

(١) انظر أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، طبع: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ٢٠٠٨م، ص٢٦.

ممر، وهذا يمثل عنصر اختلاف، أما اللون الأسود المغطي للغلاف فيرمز إلى ما تحمله الرواية من رؤية تشاؤمية سوداوية، مما ينبئ بمستقبل مظلم، مليء بالخوف والظلم والشر.

ربما ترمز الصفحة السوداء إلى الحياة المظلمة الكئيبة التي يحياها الإنسان العربي المعاصر، نتيجة للتغير السريع في مجريات الحياة، وتدهور الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، و(القداحة) ذات الضوء الخافت الضعيف التي لا يؤثر ضوؤها في الصفحة المليئة بالسواد، ترمز إلى الأمل الزائف الكاذب في الخلاص من تلك الحياة السوداوية، فكل المعاني الرمزية المضمرة تمثل دلالات غياب مرجأة لا يمكن تحديدها بدقة.

وبذلك يكون الكاتب قدم رؤية متشائمة إلى حد بعيد مجملة في ضوء غلاف الرواية وعنواها، ثم قام بتوضيحها وتفصيلها داخل الرواية.

وهذه الرؤية التي اعتمدها الكاتب متشائمة إلى حد بعيد، وتتنافي مع تعاليم ديننا الحنيف الذي يدعونا إلى التفاؤل وينهانا عن التشاؤم، وقد كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: " بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا "»[١]

فعنوان الرواية جسد النزعة التفكيكية، وأسهم الغلاف في تأكيدها، ولا أدل على ذلك من أن الكاتب ترك القاري ليكمل العنوان في ممر الفئران.....، هل في ممر الفئران الظلام أم الخوف أم الجهل أم التخلف

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ــ عادل مرشد وآخرون، إشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة الرسالة، ط١، ١٤٢١ه، جـ ٣٢، ص٣٤٢.

والرجعية، أم كل ذلك، فكلها دلالات مرجأة غائبة تتعدد بتعدد الاختلافات، يصعب تحديدها بدقة حتى بعد قراءتها قراءة متعمقة متأنية؛ فالنص في القراءة التفكيكية يبقى مفتوحا لدلالات متعددة، وهذا يمنح النص التجدد والحيوية.

المبحث الثاني

تشظي شخصيات الرواية وتشتتها

التشظى والتشتت من مصطلحات التفكيكية التي تفيد التفرق والتبدد والتبعثر، "فالتفكيكية ترفض التجمع والارتكاز حول وحدة المعنى واكتمال الدلالة، وتستبدل بهما التشظى والتشتت[١]، وبذلك يصبح النص منتجا للعديد من الدلالات والإيحاءات، فيتبعثر المعنى ويتشتت ويتعدد المركز، وتتكاثر القراءات[٢].

ويقصد بتشظي الشخصيات وتشتتها: انشطارها وتقلبها وعدم استقرارها، فالشخصيات عنصر مهم من عناصر بناء العمل الروائي، وتنوع الشخصيات وتعددها يحرك أحداث الرواية، ويمنحها الحركة والحياة، وفي رواية(في ممر الفئران) تحرك الأحداث شخصيات متناقضية متمردة مشتتة، وعلى رأسهم شخصية (الشرقاوي) الشخصية المحورية، والشرقاوي (منسوب إلى الشرق) شخص متمرد على حياته يشعر بالملل لا شيء يفرحه أو يحزنه،"يشتهي لحظة من الألم الحقيقي الخام الصادق الصافي، يشتهي عاطفة لا يفلسفها مرارة..حزن..ألم.. [٣]

من "ملامح الشخصية الروائية المفككة: السلبية، فهي شخصيات غير

---

(١) انظر المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، ص٣٣٩.

(٢) انظر التفكيكية المفهوم والنظرية، تأليف: نانية لطروش، الناشر: جامعة حسيبة بن بوعلي، مارس ٢٠٢٠م، ص ١٠٨.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٢ .

إيجابية غير منتجة غير مفيدة للمجتمع أو الآخرين، ترفض وتتمرد"[١].

فتمرد (الشرقاوي) على حياته يشبه تمرد (جاك دريدا) على العقل والمنطق، فعقل الإنسان ليس عدوه، ومع ذلك ينادي (الشرقاوي) عقله، ويقول له:" أي عقلي يا ألد خصم لي على ظهر البسيطة، أيها الحاقد الأعظم يا من لا يرضى، فعندما يبدأون في جراحات استئصال العقل فلسوف أكون أول من يتطوع"[٢].

وتراه يروض نفسه على الرضا بحياته المملة ــ في اعتقاده ــ" فلتنم..فلتنم..في الصباح سيمر الوقت سريعا، وتخلد للنوم من جديد..ستفعل هذا وتواظب عليه ٣٦٥ مرة كل عام، ولمدة عشرين عاما أخرى فقط، ثم ينتهي كل شيء"[٣]، ثم أخذ القرص المنوم وبعدها دخل في غيبوبة، جسده على السرير في عالمنا، لكن وعيه في عالم آخر، "فرحلته عبر ممر الفئران بدأت ولن تنتهي عما قريب..ربما لن تنتهي أبدا[٤]، ربما يقصد بـ (رحلته عبر ممر الفئران) دخوله عالم الظلام، فالإنسان في الغيبوبة يكون غائبا عن الوعي لا يري ولا يسمع ولا يتكلم، (فالشرقاوي) ذاهب إلى عالم الظلام والسوداوية، وسيظل فيه وقتا طويلا، هذا ما أكده التكرار في قوله (لن تنتهي)، وترك الكاتب فجوات ليخمن المتلقي ما أراد، ويتجاوب معه،

---

(١) بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، رسالة دكتواره، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٣م، ص٨١.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٣ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٣ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٧ ــ ١٨ .

ودخوله في الغيبوبة يعني أنه أصبح ثانويا بعد أن كان محوريا في بداية أحداث الرواية، ثم يدخل في عالم الظلام ويصبح محور الأحداث مرة أخرى، وهكذا، فالشخصية الرئيسة تنشطر وتتشظى إلى شخصيتين، وتكون في عالمين في وقت واحد، عالم الواقع (على السرير في المستشفى) وعالم الظلام في الغيبوبة.

وعند تفكيك عائلة (الشرقاوي) لمعرفة السبب الذي جعله يتمرد على حياته، تجد أنه متزوج وأموره مستقرة، وتحدث الكاتب عن ظروف حياته دون الوقوف عندها بالتفصيل، "فالشرقاوي في الأربعين من العمر، في سن كهذه يمكنك أن تعد نفسك محظوظا عندما تجد شقة واسعة مريحة، وتتزوج امرأة نصف جميلة، وتعمل في شركة هندسية ناجحة، وترزق بطفلين سليمين، وأنت بصحة جيدة"(١)، (فالشرقاوي) يعد محظوظا، ولكنه غير سعيد ربما لأنه تزوج امرأة لم يحبها، أو لعدم تحقق أمانيه التي كان يطمح فيها، أو لعدم انسجامه مع أفراد أسرته؛ فشعوره بعدم الانسجام بينهم جعله يشعر بالملل والتمرد على حياته، وهذا ما جعله يتناول حبوب المنوم يوميا، وعدم الانسجام والترابط من سمات النزعة التفكيكية.

وأسرة (رامي) لم تختلف كثيرا عن أسرة (الشرقاوي)، فأسرة (رامي) أسرة متوسطة الحال مكونة من أب وأم، ولهما اثنان من الذكور رامي وعلاء واثنان من الإناث عزة وعلياء، وفي العدد أربعة دلالة على أن أغلب الأمهات في الأُسَر المصرية تنجب أربعة أطفال فما فوق، ووظَّف الكاتب الشخصيات التي رآها (الشرقاوي) في عالم الظلام ؛ لتساند الشخصية

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٢ .

الرئيسة، منها: شخصية (رامي) "شاب من الطراز الذي لا يتميز بشيء ، وجه هو غطاء للجمجمة لا أكثر، وعينان لا تنطبعان في ذاكرتك، إنه باهت لدرجة أنه نموذج مثير[١]، شخصية تائهة متوترة لا رأي لها، " لم يكن متحمسا للعلم بحال، وإنما هو حماس من يمشي في درب لا يعرف من وضعه فيه، ولا متى ينتهي، ولا لماذا يمشي فيه؟" [٢]، ولشدة إحساسه باليأس كان يقول لنفسه:" إنه سيعيش ويموت خامل الذكر، سوف تنسى الأرض أنه مشى عليها يوما"[٣]، (سيعيش ويموت) فعلان يبرزان البناء والهدم في آن واحد، "فالشخصيات في أغلب الروايات العربية الجديدة؛ تعيش وتتنفس أجواء العجز والإحباط والتناقض والخواء وانكسار الأحلام والشك والخوف"[٤].

أما أخت رامي الكبرى(عزة) فكانت تعيسة هي الأخرى، فاتها قطار الزواج، شخصية مشتتة "ترتدي الحجاب عن اقتناع أياما ثم تنزعه عن اقتناع أياما أخرى، ثم ترتديه من جديد عن اقتناع" [٥]، فالتناقض وعدم الثبات على مبدأ من سمات التفكيكية، و"هناك الأخت المراهقة (علياء) معضلتها الوحيدة هي إخفاء ذقنها المدبب الذي يشعرها بأنها ذقن إخناتون،

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٢ ، وصف الكاتب رامي الوصف نفسه، ص٢٣٤ .

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٧ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٥ .

(٤) أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١١١.

(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٤ .

تكذب كأنها الشيطان، لها حياة مستقلة تماما[١]، وصفها الكاتب وصفا ساخرا يناسب أسلوب حياتها المفكك.

ومن الشخصيات المتناقضة: شخصية الدكتور مصطفى جودة كان يُدَرِّس لرامي في كلية العلوم، حاصل على جائزة الدولة التشجيعية، في الخمسين من عمره، قصير القامة أصلع الرأس، لم يكن مهيبا أو موحيا بالعلم، لا وجود للمرأة في حياته؛ لكنه كان معجبا (بفاتن) زميلة رامي في الصف[٢]، فهو شخصية وقورة، لكنه ضعيف أمام جمال (فاتن) التي وصفها الكاتب بأنها "نموذج للجمال الأنثوي المهيب، الجمال المتعالي، كل شاب في الدفعة كان يحلم أن يتزوجها[٣]، واسم (رامي) يعني القناص الذي يلقي بسهامه فيصيب، وبالفعل استطاع أن يتزوج (فاتن)" أجمل طالبات الصف، وهو بطل اللا تميز، هو اللا أحد مجسدا يمشي على قدمين، كل إنسان في الكون يرى نفسه أجدر بها منه"[٤]، فأسوأ شخص في الدفعة يتزوج أجمل فتاة، وفي ذلك من التناقض ما فيه .

تعمَّد الكاتب وصف بعض شخصيات الرواية بأسلوب ساخر ممزوج بالتَّنَمُّر الخُلُقِي والخَلْقِي، وفي ذلك دلالة على أن ما يصدر منهم من أفعال تكون مضطربة غير عقلانية مثل الشخصيات التي اختارها، ويؤكد ذلك ما

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٣ .

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٨، وصف الكاتب الدكتور مصطفى الوصف نفسه، ص١٢٦ .

(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٩ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٤٤ .

فعله (رامي) حين تزوج (فاتن) في ظروف غامضة غير مناسبة، وجعل أغلب شخصيات روايته تدخن مثل (ماهر)، وصفه الكاتب بأن شاربه طويل وشكل أذنيه غريب، ويدخن بطريقة عصبية[١]، متمرد له مطالب، يشبه (نجوان) المتمردة على كل شيء، "الفنانة التشكيلية والشاعرة، تبدو كشاب مراهق وسيم، ترتدي البنطلون الجينز، تحمل كتابا وتدخن لفافة تبغ[٢]، وشخصية الطبيبة (مها) رشيقة نحيلة في الثلاثين من العمر، ولها عين حولاء"[٣]، شخصيات متمردة على نظام حياتها.

ومن الشخصيات الثانوية (باولا مارياشتي) الراقصة الإيطالية الجميلة ذات العشرين ربيعا"[٤]، وعلى الرغم من مهنتها إلا أنها تابت وكان لها دور إيجابي، وانضمت إلى النورانيين، وصديقها "فيتوريو"، وهناك الكثير من الشخصيات الثانوية النورانية ــ من جنسيات مختلفة ــ التي كان لها دور في الرواية.

وهناك شخصيات تعيش في النور لم يذكر الكاتب أسماءهم، ولم يتحدث عنهم بالتفصيل، ولكنه وصفهم بما يدل على أنهم سادة العالم فهم أغنياء مترفون، أما غيرهم ممَّن يعيشون في عالم الظلام فهم عبيد، فقال:" سادة مترفون ولدوا في الشمس والهواء وتمتعوا بالحياة، عرفوا القراءة والتلفزيون، وعبيد معذبون لا يعرفون إلا الظلام..الفارق هنا أن العبيد هم

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٨ .

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٩١ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٥٦ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٦٢ .

العالم كله[١]، في ثنائية (السادة والعبيد) دلالة على ملمح سياسي؛ طرقه الكاتب ولم يفصح عنه بشكل مباشر.

إن أغلب شخصيات الرواية شخصيات مشتتة متناقضة يائسة، ولكن ما سر تعاسة الشخصيات؟ هذا ما لم يصرح به الكاتب، ممَّا يستدعي إيجاد تفسيرات تكشف الغموض الذي يلف الشخصيات، ربما يرجع ذلك إلى عدم الشعور بالاعتداد بالذات؛ نتيجة لتدهور الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

تنوعت وتعددت الشخصيات في الرواية، وأدت كل منها دورها الذي رسمه الكاتب، وأغلب أسماء الشخصيات في الرواية لها دلالات رمزية، وتعمد السارد وصف الشخصيات بأسلوب ساخر مشحون بفنون بلاغية ودلالية، فوَصْف الشخصيات يسهم في محاولة تخيلها وتقريبها من الأذهان، بخاصة أن الشخصيات مختلفة منقسمة إلى مستويين: مستوى يعيش في عالم الظلام وآخر يعيش في عالم النور.

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٤٣ .

المبحث الثالث

رفع المهمش إلى المركزية في أحداث الرواية

إن التفكيكية تأبى الاحتكام إلى المنطق والعقل، و"ترفض التمركز والبنيات الثابتة، وتعمل جاهدة على رد الاعتبار للمهمش والمخفي[١]، وتنقد فكرة الانسجام والتسلسل في ترتيب أحداث الرواية، وليس معنى ذلك أنها غير محكمة؛ " فمهما بلغت الرواية من التفكك والتشظي والفوضى واللانظام، فلابد أن شيئا ما ينتظمها في ذهن الروائي، فالتفكيك طريقة يوظفها الروائي قاصدا لها، وليست مجرد عملية عشوائية بلا معنى[٢].

أحداث رواية (في ممر الفئران) يغلب عليها الشعور بالرعب والخوف من المجهول، فتبدأ أحداثها بتمرد (الشرقاوي) على حياته، ثم دخوله في غيبوبة، لم يعلم الأطباء سببا لها، يدخل في عالم يختلف عن عالمه؛ عالم فيه شخصيات خيالية كرامي وفاتن وأستاذهما الدكتور مصطفى وأسرهم، وغيرهم الكثير من البشر، وذات يوم قال عالم من ناسا: "هذا نيزك غريب الأطوار، لا نعرف من أين جاء ولا لماذا قرر أن يدمر عالمنا"[٣]، فيهلك كل من علي الأرض،" والغريب أن هذا دفع بعض الناس لأقصى درجات التدين، بينما دفع آخرين لأعتى درجات الفجور"[٤]، كان حال الناس مختلفا

---

(١) انظر التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٠.

(٢) بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، ص٤٤.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٥٠.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٥٣ .

متناقضا، وكان (رامي) باهتا كالعادة لم يبال بالنيزك،" في ظروف غامضة تزوج (فاتن) زميلته في الدراسة، وتمنى لو أن الكارثة لم تحدث..عندها سيخرج مظفرا[١]، وبالفعل سقط النيزك ولكن لم يمت كل من على الأرض وإنما أصابها بغيوم، ولكن هذه الغيوم ازدادت فحجبت ضوء الشمس تماما فغرق العالم في ظلام حالك، وانتشرت الأمراض المعدية وانتشر الكساح لعدم وجود الشمس، واختفى طب العيون، وانتهى دور أجهزة الأشعة، وكان التوقيع ببصمة الأذن[٢].

اتخذ الكاتب من سقوط النيزك وسيلة لنقد المجتمع، فذكر أننا في مجتمع انتشرت فيه الأمراض المعدية نتيجة الإهمال، والتخلف في المجال الطبي، فكلما تطرأ فكرة في ذهن الكاتب يعرضها، ثم يستمر في سرد الأحداث " المسألة مسألة انتقالات موضعية، ينتقل السؤال فيها من طبقة معرفية إلى أخرى، ومن معلم إلى معلم حتى يتصدع الكل"[٣]، فالتفكيكية ترفض المركز وترفع المهمش لدرجة المركزية، فالنص الروائي يمثل تراكيب لغوية تتناقض وتتنافر من الداخل، بحيث يجعل النص قابلا لتفسيرات وتأويلات متعددة.

كان دور (الدكتور مصطفي) هو تفسير ما يحدث من خلل نتيجة سقوط النيزك، وكان رأيه" أعتقد أننا سنحسد أولئك الذين هوى عليهم النيزك

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٥٩.
(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٥٩ــ ١٦٠.
(٣) الكتابة والاختلاف، تأليف: جاك دريدا، ترجمة: كاظم جهاد، ص٤٧.

فأبادهم.. نعمة الموت المفاجئ بلا خوف ولا جوع ولا ظمأ ولا ألم"[١]، فالسيناريو الأسوأ سوف يتحقق وهو الموت البطيء، ولكن مع الوقت واليأس استطاع الناس في هذا المجتمع التأقلم على هذه الحياة الكئيبة المظلمة، "كل جهاز كان يعمل بالكهرباء أصبح لا قيمة له، أصبحت السيارات والطائرات لا تعمل، انتشرت ثقافة العمى، وعادت رقعة العالم ضيقة محدودة، وأصبحت الصحف تطبع بطريقة برايل، وصار طعامهم الحيوانات فلا توجد نباتات، ويتم التسخين عن طريق إنتاج تفاعل حراري لنوع من البكتيريا يعيش في الظلام يصلح لطهي وجبة، ممَّا يجعل الطريق ممهدا لسرطان القولون حتى ظهر جيل لا يعرف النور سمع عنه ولم يره، ومنهم ضياء بن رامي وفاتن [٢].

أحداث الرواية يغلب عليها التناقض في أكثر من موقف، منها: أن سقوط النيزك يصيب بعض الناس دون البعض الآخر، ومن أصابهم النيزك بعضهم يرى والبعض الآخر لا يرى، ومن لا يرى منهم بإمكانه الرؤية ولكنه يعيش في الظلام خوفا ورعبا من (القومندان) الذي سمع الناس عنه، "هو رجل جاء حرفيا ليحكم العالم.. يمكنه أن يراقب كل شيء..يمكنه أن يقصف بصواريخه أية دولة متمردة[٣]، أصدر(القومندان) منشورا يقول فيه: "إن من يجرؤ على استعمال النار أو البحث عنها، يرتكب إثما يقترب مما يسميه أتباع الديانات بالكفر، جزاء استعمال النار بأي شكل من الأشكال هو

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٤٨.
(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٥٧ ـــ ١٥٨.
(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٨٠.

الموت، العذاب ثم الموت"[١]، ونشر البصاصين الذين لديهم عوينات أو نظارات يروا بها في الظلام، نظارة تخبر صاحبها بمكان المجرم، والعربات التي تحتوي بالكلاب التي تمزق الناس[٢]، حتى إن (فاتن) قد مزقتها الكلاب لأنها فتحت القداحة[٣]ـــــ ولم يتحرك (رامي) لإنقاذها ـــ وغيرها الكثير ممَّن يتفننون في إعدامهم، والناس كذلك يعاونون (القومندان) بجهلهم وفرحهم عند سماعهم عن حالات الإعدام التي يصدرها (القومندان)، بل هم من يقومون بالتبليغ عن كل من لوَّث الظلام حتى لو كان أهل بيته من شدة الرعب من (القومندان) وأعوانه، وفي ذلك دلالة على أن أغلب الناس في ظل الحياة المادية أصبحوا سيئين أنانيين بلا نخوة، لا يهمهم سوى أنفسهم.

عاش (الشرقاوي) في هذا المجتمع المظلم الظالم؛ ونتيجة لهذه الحياة البشعة التي أشبه بالموت كل في انتظار إعدامه، تكونت جماعة من الشباب المتمردين على عالم الظلام، منهم ماهر ونجوان ومها ورامي ومن تبعهم، وأطلقوا على أنفسهم "النورانيين"، وطالبوا بأن يكون النور للجميع، وانضم إليهم (الشرقاوي)، فاقترحوا الذهاب للخدمة في قصر (القومندان) فوق السحاب في جبل الهيمالايا[٤]، وتدبير خطة هدفها تمكين عالم الظلام من رؤية الضوء وأشعة الشمس، أو انتقالهم إلى عالم النور، "ولكن هناك جهاز

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٨٣.
(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢١٥.
(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٩٤.
(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٨٥.

كمبيوتر عملاق فوق الجبل يستطيع أن يراجع بيانات الجميع، وبصمات أذنهم، يستطيع قراءة التجاعيد والثنيات، وبوسع الجهاز أن يعرف كل شيء عنك، لهذا بدأوا نحت آذان زائفة" [١]، ولكن الرجل ذو العوينات رأى (نجوان) تستخدم قالبا زائفا للأذن، فتم الحكم عليها "بأمر (القومندان) أن تقطع أذنها وترغم على التهامها، ثم يسلخ جلدها حية"[٢]، وباقي الضوئيين دخلوا القصر.

أحداث رواية (في ممر الفئران) مخيفة تتابع فيها الأحداث المرعبة؛ التي تزعج المتلقي وتقلقه، وتجعله يشعر بأنه في كابوس.

(فالنيزك) الذي بدا في الرواية مركزا للأحداث، جعله الكاتب مهمشا، واتخذه وسيلة لبث فكرة أساسية لم يصرح بها الكاتب ورفعها للمركزية وجعل الأحداث تدور حولها، وهي أن الناس في ممر الفئران غير فاقدين حاسة البصر، ومع ذلك لم يبصروا، فما سبب العمى غير الحقيقي الذي انتشر بينهم، وغيَّر مجرى حياتهم؟ ولمَ أصيب بعض الناس بالعمى دون غيرهم؟، " والحقيقة أن الألغاز تزداد كثافة؛ في مكان ما توجد الإجابة، لكن أين هي؟ وما هي؟"[٣].

فالرواية ذات النزعة التفكيكية تثير الشك والحيرة بأسئلتها الكثيرة، وتبقى الإجابة في ثنايا أحداث الرواية موجودة بشكل غير مباشر ـــ ولكنها غير يقينية ـــ من خلال قطع مبعثرة، "يستطيع المتلقي أن يحظى برؤية

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٠١.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٢٠.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٩٨.

فكرية وجمالية ما من خلال ضم هذه الشظايا المبعثرة "[١]، وهذا ما جعل أحداث الرواية مضطربة يصعب الإلمام بها إلا بعد قراءتها أكثر من مرة،" فالتفكيك استراتيجية بلا حدود، فعل ممتد وعابر، وشكل من أشكال المقاومة مقاومة غير منظمة، لا تخضع للمنطق ولا يلحقها التراتب [٢] ، هذا ما ذهب إليه جاك دريدا حيث قال:" أنا لا أتعامل والنص كمجموع متجانس، ليس هناك من نص متجانس، هناك في كل نص حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية، قوى عمل هي في الوقت نفسه، قوى تفكيك للنص"[٣] .

فالكاتب يسرد أحداث الرواية كلما تتداعت الأفكار إلى ذهنه، ومما يؤكد اضطراب أحداث الرواية، تكرار المواقف نفسها بين أحداثها، تحدث الكاتب عن وصول (الشرقاوي) إلى عالم الظلام حين قال :" أنا في ممر الفئران"[٤]، وبعد أكثر من مائة صفحة تحدث عن نفس الموقف، وقال مخاطبا نفسه: "الشرقاوي دخل ممر الفئران ولا يقدر على التراجع"[٥]، وفي موقف آخر تحدث الكاتب عن سقوط النيزك على الأرض، حيث قال: " نحن أحياء لا شك في هذا لربما متنا ولم ندرك ذلك" [٦]، وبعد عشرين صفحة، قال عن سقوط النيزك: " لن تكون نهاية الكون كما نعرفه..فقط هي حياة

---

(١) بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، ص٥٢.

(٢) انظر مدخل إلى علم التفكيك، تأليف: ميشل رايان، جوناثان كلر، وآخرون، ص١٣.

(٣) الكتابة والاختلاف، تأليف: جاك دريدا، ترجمة: كاظم جهاد، ص٤٩.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٧٠.

(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٤٥.

(٦) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٢٩.

البشر على الأرض كما نعرفها" [١]، فالتفكيكية تأبى النسقية والانسجام، ففي أغلب الروايات المعاصرة "انحرافات في سرد الأحداث وتقديم بعض اللقطات على بعض، فهي قفزات لا تخضع لمبدأ معين ولا يوجد خيط يربط بينهـــا، ومع ذلك فإن أجواء كل لقطة يمكن أن تتضافر مع أجواء اللقطة التي تليها وهكذا، حتى يتم خلق مناخ روائي عـــام [٢]، " وهـــذه الأحـــداث المبعثـــرة والانحرافات السردية تحتاج إلى فن وجهد وصبر ومثابرة ورؤية ثاقبة لكل حدث مختار، أو جملة مصوغة"[٣]، وعلى القارئ أن يركب هـــذه الأحـــداث المشتتة، ويكوِّن فكرة هادفة تفسر تلك الأحداث المتناثرة داخل الرواية .

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٢٩.
(٢) انظر أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١١٧.
(٣) أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١٠٥.

المبحث الرابع

الحضور والغياب في أسلوب الرواية

ثنائية الحضور والغياب من مرتكزات التفكيكية التي تبرز التناقض، فهي تدل على الوجود والعدم في الوقت ذاته، فالحضور يفيد الوضوح والظهور، والغياب يفيد الخفاء والإبهام.

وقد تولد عن تشكيك التفكيك في العلاقة بين الدال والمدلول، التشكيك في فكرة الحضور أي حضور المعنى من خلال الدال، وأصبح هذا المعنى في حالة غياب دائمة، ولا يمكن لأية قراءة تدعي أنها قبضت على المعنى، فهي قابلة دوما للإنتاج انطلاقا من فراغات الكتابة(١).

فالرواية المعاصرة التي تعبر عن الإنسان المعاصر في ظل التغييرات السريعة، "بناؤها ينهض على أسلوب جديد وتقنيات جديدة، تجسد التفاعل الجدلي بين التقنيات والأسلوب وبين الرؤية، وتخاطب القارئ لتنمية قدراته على تشكيل رؤية جديدة لما يحياه في الواقع(٢) .

لذا نوَّع السارد في صيغه التعبيرية ـــ التي نقل بها أحداث الرواية ـ واتخذت نمطا مغايرا لما كان عليه أسلوب الرواية التقليدية المباشرة، فتعمد نقل أغلب أحداث الرواية دون تدخل منه(سارد غير ملتحم)، وهذا الأسلوب يوهم انفصال الكاتب عن الفكرة، ممَّا يجعل المتلقي لا يشك فيما يقرأه، واستخدم ضمير الغائب في عرضها، فعندما أراد (الشرقاوي) أن يبيت في فندق،"أخذ الموظف طبعة من صوان أذنه على الصلصال..طريقة لا بأس

---

(١) مناهج النقد الأدبي الحديث ـ رؤية إسلامية ـ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٨.

(٢) انظر أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١٠٤.

بها، طبعا لا لزوم للبصمات هنا، لذا أخذ طبعة مجسمة من أذنه، وبالتالي يمكنه أن يتحسسها متى أراد ليعرف صاحب الصوان"[١]، الكاتب جعلنا نصدق أننا في مجتمع مختلف يوقع بطبعة من صوان الأذن بدلا من التوقيع باليد.

قدم الكاتب رؤيته التبئرية[٢] بما يتناسب مع نقل الأحداث المتناثرة ومع السياق، ففي كل موضع يختلف فيه السياق يتعدد المعنى، فوظف الرؤية من خلف "التبئير الصفر" فالراوي يعرف أكثر من شخصياته[٣]،" (الشرقاوي) في ممر الفئران يشعر بالبرد والجوع، ثمة رائحة لحم مشوي تأتي من بعيد..الجوع جعل حاسة الشم مرهفة للغاية، لذا مشى باتجاه الرائحة كأي ضبع[٤]، فالسارد توغل في الشخصية وعرف دواخلها ومكامنها، فشعور(الشرقاوي) بالجوع جعله لا يفكر ومشى مباشرة تجاه رائحة الطعام كالضبع[٥]، ووظف التشبية للدلالة على تعميق الإحساس

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٨٥.

(٢) التبئير هو تقليص وتضييق حقل الرؤية عند الراوي وحصر معلوماته، وسمي بذلك لأن السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره(معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف د. لطيف زيتوني، ص٤٠).

(٣) انظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جينيت ـــــ واين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ص١١٦.

(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٧٨.

(٥) الضبع: ضرب من السباع، يفترس الحيوان ويأكله قهرا وقسرا(لسان العرب، مادة ضبع).

بالجوع، و(ممر الفئران) هنا يرمز إلى عالم الظلام، عالم بائس فقير، كل ما يهم الإنسان فيه الحصول على لقمة العيش، هذا أقصى ما يتمناه.

والرؤية مع أو المصاحبة أو التبئير الداخلي" حيث يعلم الراوي ما تعلمه الشخصية[١]، "في ممر الفئران سمع (الشرقاوي) صراخ كمال ثروت، ولم يعرف جريمته التي ارتكبها، ارتجف من التوتر..وشعر بأن ساقيه تتخليان عنه، وعرقه يسيل غزيرا..لا يعرف السبب[٢]، وهذا النمط يعطي مصداقية لوقوع الأحداث، فبدأ يتساءل عن السبب في إعدامه فلم يجبه أحد" ثم سمع صوت النباح.. نباح الكلاب المنذر بتمزيق مَنْ أمامها، وسمع كذلك صوت جنازير، ثم سمع صوت التمزيق والصراخ والعويل"[٣]، فالسارد يعرف أقل من الشخصية(التبئير الخارجي) [٤]، فنقَل ما سمعه فقط، ولم يعرف بواطن الشخصية ولا بما تشعر به من أحاسيس، ووظَّف الكاتب (الصوت) الذي تعدد وتنوع؛ فأضفى حالة من الذعر والهلع، الموجودة في ممر الفئران المخيف المرعب، (فالدال) واحد وهو الظلام الموجود في ممر الفئران حيث يمثل الحضور، (والمدلول) يختلف باختلاف السياق، وهو يمثل الغياب، وهذا المعنى الغائب لايمكن تحديده فهو في حركة مستمرة، كلما شعر

---

(١) انظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جينيت وآخرون، ص١١٧.

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٤٨.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٤٩.

(٤) انظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جينيت وآخرون، ص١١٩.

القارئ أنه أمسك به تفلت منه لحضور معنى جديد؛ فيرجأ المعنى السابق ويغيب، ثم يحضر المعنى الجديد وهكذا.....

فعلى سبيل المثال قال السارد: "في الماضي ـــ أيام النور ـــ كان الظلام يجعل (فاتن) موشكة على الاختناق، كأن الأكسجين في عالمنا مضيء، والظلام هو ثاني أكسيد الكربون، مشاهد عدة تتداعى لذهنها[١]، فوظف السرد اللاحق وعبر عن الحكي بصيغة الماضي لأنه يعطي الشعور بالأريحية والاطمئنان، ويبرز الفارق بين الماضي والحاضر، ولأنه طبيب وظف مصطلحي الأكسجين وثاني أكسيد الكربون للكشف عن التناقض الشديد بينهما، (فالأكسجين) يساعد الإنسان على التنفس ويمنحه الحياة، و(ثاني أكسيد الكربون) غاز سام يخنق من يتنفسه، (فالضوء) يرمز إلى الحياة (والظلام) يرمز إلى الموت.

تم إرجاء هذا المعنى وأصبح (الظلام) يرمز إلى الظلم والقهر، و(النور) يرمز إلى العدل المساواة، فقال مستخدما الفعل المضارع: "يوما ما سوف نقهر الظلام، يوما ما سوف نقهر الظلام سوف نعيش جميعا على قمم الجبال، وننعم بالنور أو نقهر سحابة الغبار العملاقة، هذا حلم قد يتحقق بعد ألف عام"[٢]، وكان للتكرار دوره في إصراره على تحقيق حلمه، وهو قهر الظلام وإنعام النور، وركز الكاتب على السرد المتقدم وملأ الرواية بتنبؤات كثيرة واستشرافات مستقبلية، حلم بتحققها تشكل استباقات تحير المتلقي، وتجعله يتساءل كيف يتحقق الحلم؟، ولماذا بعد ألف عام بالتحديد؟.

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٧٠.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٩٨.

ومن الأساليب التي تثير توتر المتلقي السرد المتزامن، الذي يتم متزامنا مع الحكاية، وهو نمط يوظفه السارد حين يتوافق كلامه مع وقوع الحدث[١]، ليوهم المتلقي بتزامن الأحداث، " ففي الوقت الذي كان يفكر فيه (الشرقاوي) في الانتحار وهو في ممر الفئران، لاحظت الممرضة وهو في الغيبوبة أن القناة الوريدية مفتوحة، وأن الدم يسيل ليغرق الملاءة[٢]، وهذا النمط يزيد من حدة التوتر والقلق، ويثير تساؤل المتلقي؛ لمعرفة سبب انتحار الشخصية المفككة.

ومن تقنيات السرد التي تشد انتباه القارئ، وتجعله يتفاعل مع الرواية، "الفجوة الدرامية" هي تغييب قطاع من الحدث عن المتلقي، ليتيح له إعمال خياله لإكمال النص[٣]، "قال رامي: بصمات آذاننا لديهم..سوف يجدوننا..هل حسبت أنهم سوف يسمحون لنا بالعمل فوق السحاب من دون بصمات أذن"[٤]، ترك الكاتب فراغات ليشغل ذهن المتلقي، فيتوقع المتروك ويقوم بتكميل هذه الفراغات، ثم أخذ (رامي) يوضح هذه الفراغات، فقال:" إن فاتن سوف تخبرهم بكل شيء"[٥]..هكذا يبدأ الخيط ..وترك المتلقي يخمن ما

---

(١) انظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جينيت وآخرون، ص١٢٢.

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٥٥.

(٣) انظر خطاب الحكاية(بحث في المنهج)، تأليف: جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٦٢.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٩٦.

(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٩٦.

تركه؛ ليملأ الاسترجاعات التكميلية، وبذلك يكون المتلقي مشاركا الكاتب في عملية الإبداع.

فاللفظة الموجود في النص تمثل الحضور، وما تحمله من دلالات ومعان تمثل الغياب، والتفكيكية تعمل على زيادة الفجوة بين اللفظة ومدلولاتها، "وهذه الفجوة تحمل على التخلي عن منطق المطابقة والشفافية والثبات، للتمرس بمنطق الاختلاف والتحول والتداول"(١) ؛ مما يتيح اللعب الحر للمدلولات .

ومن الأساليب التي تجذب المتلقي وتجعله يتفاعل مع الرواية الحوار، فعندما"سمع (الشرقاوي) في الظلام صوت امرأة تتكلم بعدوانية باردة: اسمك وسنك؟ سيد الشرقاوي..أربعون عاما..، لا خطر من ذكر بياناتك..لا أحد يعرفها، قالت: ماذا تجيده؟ أجيد العمل الذي يطلبون مني أن أفعله، قالت: هل لديك تحفظات دينية أو صحية؟ قال: لا توجد تحفظات أقبل أي شيء، مشى في ممر آخر، وهو يسمع من خلفه (نجوان) ترد على أسئلة مماثلة(٢)، استطاع السارد أن يعرض أفكار الشخصية ووجهة نظرها تجاه الأحداث المحيطة بها.

ومن الأساليب التي وظفها السارد في الرواية " التكرار"، كالتكرار في قوله: "الظلام في كل صوب"..ظلام متجانس يمكنك أن تلمسه أو تتحسسه؛ لكن لا تقدر أن تمزقه، ظلام بلا بداية ولا نهاية..

---

(١) هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، تأليف: د. علي حرب، طبع: دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص٢٢ .

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣١٤ــ ٣١٥ .

الظلام في كل صوب... ظلام كغاز سام يتسرب عبر فتحات الأنف إلى روحك..

الظلام في كل صوب...ظلام العجز أنت واهن؛ كما كان جدك قبل أن يعرف النار.

الظلام في كل صوب .. وأنت لا تصدق أنه حقيقي(١).

فالتكرار يفيد الاختلاف، ففي كل مرة يتكرر فيها الظلام تختلف الصورة المعبرة عنه، "فداخل الحضور تكرارا واختلافا فاعلين في تشكيل الحضور، والمفترض أنهما ناشئان عن الحضور، ذالكم هو القلب التفكيكي للتراتب وإزاحته إلى حركة اختلافية"(٢).

ومن التقنيات السردية التي تدفع الملل والرتابة عن المتلقي، وتكسر أحادية صوت الراوي، المشهد: وصف الكاتب مشهد إعدام (نجوان)، فقال: " سمع الناس يهللون ممتدحين العدالة الناجزة، وفجأة دوت صرخة شنيعة لا يمكن أن تخرج من شفتي (نجوان)الصلبة العقلانية المتماسكة، (نجوان)التي لاتصرخ وهم يقطعون أذنيها، كان رامي والشرقاوي يمسكان (بمها)، كانت تنشج في هستيريا، وكان (ماهر) يقول كلاما مفككا غير مترابط، قال الشرقاوي همسا: فلنبتعد! وليرحمها الله(٣)، مشهد مرعب بين أكثر من شخص وصفه الكاتب أثناء عملية السرد ليوهم المتلقي بإمكانية تحقق الأحداث على الرغم من غرابتها، وجاءت الجمل فيه قصيرة تجسد

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٦٩.

(٢) مدخل إلى علم التفكيك، تأليف: ميشل رايان، جوناثان كلر، وآخرون، ص٦٠.

(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٢١ ــ ٣٢٢.

حالة الضياع والحزن والخوف التي خيمت على مشهد الإعدام .

ووصف الكاتب ممر الفئران، فقال: "هذا هو ممر الفئران..فئران عمياء مذعورة.. ممر ضيق عطن الرائحة"[١]، جعل الناس فيه فئران عمياء مذعورة، فالفئران تمثل دلالة حضور، والناس فيه....تمثل دلالة غياب، وهذا الوصف التصويري للمكان، يجعل المكان المخيف يعلق بذهن القارئ حتى بعد الانتهاء من قراءة الرواية.

فاللغة في الرواية شعرية مجازية استعارية، " تشكل عالما من الإمكانات الخصبة المعرفية والجمالية للتفكير والتعبير، وأصبحت حقلا للشرح والتفسير والتأويل، بعوالمها الرمزية، وفضاءاتها الدلالية، واستعمالاتها الفنية[٢].

يقول السارد:" جاءت أيام الظلام، وصار المرء يرى يده بكثير من العسر" [٣]، (فالظلام) يمثل الحضور، وما يرمز له من الفقر واليأس والبؤس يمثل الغياب، أصبح الإنسان في عالم الظلام بلا طموح وبلا أمل، فالقليل الذي يحصل عليه يناله بمشقة وتعب، ويؤكد ذلك قول السارد بعد سقوط النيزك:" التشابه بين ما نحن فيه والموت قوي جدا، لكن قلوبنا تخفق وأنفاسنا تتردد"[٤]، فالإنسان في ممر الفئران حيّ لكنه ميت من شدة إحساسه باليأس، قلبه ينبض، ورئتاه تواصل عملها، واللغة المجازية تقرب

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٧٩.

(٢) انظر هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، تأليف: د. علي حرب،٢٠ ـــ ٢١.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٩٣.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٣٥.

الصورة من ذهن المتلقي.

اللغة في الرواية ذات النزعة التفكيكية" تحاكي الواقع اللامعقول من خلال اللعب على مفارقة اللغة واحتمالاتها، ومضاداتها"(١)، وهذه اللغة هي المناسبة لما يعيشه الناس في ممر الفئران من خوف واضطهاد، كما أنها مناسبة للتعبير عن الأحداث المشتتة المتناقضة.

واللغة في الرواية لغة غنية بالإيقاع، كقول السارد عن والديّ (رامي):" لم يعد يسعدهما إلا انخفاض سعر اللحم، ولا يتعسهما إلا ارتفاع سعر الطماطم"(٢).

لغة غنية بالتناص، فمن التناص مع القرآن الكريم، قول السارد:" قد عم الشر والخبث، وشاء الله أن يذهبنا ويأتي بخلق جديد"(٣)، تناص مع قول الله تبارك وتعالى:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٤).

وتناص مع قصة خروج سيدنا آدم من الجنة، فقال:" كنا نتكلم عن الكون الذي انتهى..عن الجنة التي كنا فيها ثم طردنا لا من أجل تفاحة، ولكن بسبب نيزك"(٥) ذكر الكاتب أن خروج آدم من الجنة كان (من أجل تفاحة)، ولم يرد ما يُعَيِّن هذه الشجرة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، ص١٦٣.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٣ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٥١ .

(٤) سورة فاطر، آية ١٦ .

(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٦٩ .

فالكاتب يتحسر على الحياة في الماضي أيام النور، ويرمز للنور بالجنة التي طرد منها، فأمله أن يتحرر من الظلام، وعبر عن ذلك بلفظتي (الليل والنهار) فقال: " لم أكف عن استعمال لفظة ليل قط..ما أحلم به هو أن أعود لاستعمال لفظة نهار"(١).

واستخدم الكاتب تراسل الحواس للتعبير عن قدرة البصاصين البالغة على اقتفاء أثر من يلوِّث الظلام، فقال عنهم:" عيون جائعة إلى النور متعطشة له..يمكن لهذه العيون أن تشم الضوء الخافت على بعد مائة متر، كما تشم سمكة القرش قطرة دماء في المحيط"(٢)، وفي موضع آخر وصفهم بأنهم "حراس مسلحون ببنادق شرسة المظهر كأنها ثعابين(٣)، وهذه الصورة توضح الحياة القمعية للناس في ممر الفئران.

فالرواية ذات النزعة التفكيكية تعري المجتمع وتنقد ما فيه من ظواهر، وفيها أساليب سخرية لاذعة(٤)، كقول السارد:" نحن عميان لأن طيور الكروان أكلت عيوننا"(٥) ، وهذا الأسلوب مناسب للتعبير عن مجتمع يعيش في ظلم واضطهاد.

ومن التقنيات التي تدفع الرتابة عن المتلقي، وتجذبه لمتابعة الأحداث، الحركة الترددية بين الضمائر الثلاثة المتكلم والخطاب والغيبة، فتراه يكثر

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٣٧.
(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٣٥ .
(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٤١ .
(٤) انظر أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١٠٥.
(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٧١ .

من مخاطبة نفسه، "أنت رخو ضعيف..أنت عاجز عن مواجهة أي شيء"[١]، وقد استأنس السارد بصيغة الغائب فقال:" استطاع (الشرقاوي) أن يدرك أن هذه صحف كتبت بلغة برايل.. لغة البروزات والثقوب المخصصة للمكفوفين[٢]، وقد استخدم ضمير المتكلم في الإجابة على سؤال (مها) ما خططك؟ قال: لا أملك خططا سوف أبقى حيا"[٣]، فهو يحقق تماهي القارئ مع الشخصية.

كما وظف (الصوت) في الرواية، فالصوت يتخلل عملية السرد؛ فيثير حالة من التوتر بين الصوت الخارجي والشخصية الساردة، فصوت الصراخ أثار الرعب،"سمع صرخة طويلة عميقة أليمة متحشرجة قاسية، الصرخة تتردد..وثمة من يصرخ: الرحمة لا، ثم صوت شيء يحدث صوت فششششش، كأنه مسمار ملتهب يلقى في دلو ماء[٤]، صوت (الصراخ) أسهم في إضفاء الزعر والخوف، من الواضح أن الإعدام هنا بالحمض، وكان للتشبيه دور في تقريب المشهد للأذهان وتمثيله.

وخلق صوت (السرينة) حالة من الفزع، "فحينما ارتكب الشرقاوي جريمة تلويث الظلام دون أن يدري حاول البائع أن ينقذه، فأعطاه ثيابا قذرة، يتعالى صوت السرينة، بالفعل هناك سيارة شرطة قادمة، تجرد من ثيابه في الشارع، لابد أن صاحب هذه الثياب كان يعمل في المجاري، لكن

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٢.
(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٠٠.
(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٨٤.
(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٨٢.

الأمان أهم من النظافة حاليا[١]، فصوت (السرينة) بمثابة الإنذار، فتحول السرد من الغائب إلى المخاطب، وواضح في أسلوبه السخرية والتهكم، فمن قذارة الثياب استنتج أن صاحبها يعمل في المجاري.

كانت أساليب الرواية مرنة استطاع الكاتب أن يطوعها للتعبير عن أفكاره المتناثرة داخل الرواية، وكان للغة دور كبير في التعبير عن الأحداث والشخصيات، وفي الرواية نفسها ما يدل على أحد مرتكزات التفكيكية، وهو الاعتداد بالظن والتخمين بدل العقل واليقين، فقال: " تتراجع المعرفة اليقينية، لتحل محلها معرفة تخمينية"[٢]، ونجح السارد في جعل الأحداث المتناقضة ممكنة من خلال اللغة الاستعارية المحملة بالمعاني المتعددة والدلالات الرمزية، وهذا بدوره جعل المتلقي يشاركه في إحساسه، ويقوم بتخيُّل الأحداث، ويجعلها في حيز الإمكان، ووظف الصور البلاغية في المشاهد والأحداث بما يخدم النص الروائي، ويقرب المعاني من الأذهان.

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٠٢.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٣٦.

المبحث الخامس

تماهي الزمان في المكان وانفلاتهما في الرواية

الزمكان مصطلح يشير إلى ارتباط عنصري الزمان والمكان في الرواية المعاصرة، ونظرا لأن التفكيكية لا تحتكم إلى منطق وعقل، فمن الطبعي أن يكون الزمان والمكان فيها غير محددين، حيث يصعب تحديد زمان لأحداث يسودها الاضطراب وعدم الترتيب، وكذلك المكان مبهم ولا يطابق الواقع، فالرواية ذات النزعة التفكيكية تعبر عن شخصيات مشتتة تصدر أحداثا مضطربة، " وهذه الانحرافات المتعمدة تكسر التسلسل الزمني، بل تفقد الزمن أهم خصائصه(التسلسل)، وتتداخل الأزمنة وأحيانا تختفي، وكذا المكان"(١)، وهذا ما وضحه باختين(Bakhtin) حول مصطلح الزمكان الذي يشير إلى "العلاقة المتبادلة بين الزمان والمكان، المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا، فما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات الزمان والمكان، وللزمكان أهمية جوهرية حيث يحدد صورة الإنسان في الأدب (٢).

ركز (باختين) على نقطتين مهمتين، الأولى: أن الزمان لايمكن فصله عن المكان في النص الروائي، والثانية: أن نوع الزمن يتوقف على صورة الإنسان في النص.

والزمن في رواية (في ممر الفئران) غير محدد لا يمكن فصله عن

---

(١) بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، ص١٢٧.

(٢) انظر أشكال المكان والزمان في الرواية، تأليف: مخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠م، ص٥ ـــ ٦ .

المكان، يقول السارد: " في ممر الفئران من الأفضل أن تنتظر نهايتك، مهمتك الوحيدة هي ألا تلتهمك الفئران الأخرى"(١)، أي أن تحاول أن تبقى حيا، امتزج المكان (ممر الفئران) بالزمان (الانتظار) تمام الامتزاج.

وتماهَى الزمان في المكان وسيطر عليه، وظهر ذلك في قول السارد " في كل يوم تقريبا كان (رامي) يذهب وحيدا لمكتب الدكتور مصطفى، فيجلس كأنه يألف المكان، ويتبادل الكلام معه كأنهما صديقان...، وكان دكتور مصطفى متأهبا للإجابة في كل وقت"(٢) ، فالزمان والمكان متصلان تمام الاتصال، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

والزمن في رواية (في ممر الفئران) زمن كابوسي مظلم لا أمل فيه، يرصد الرعب والخوف مما هو قادم؛ زمن متأثر بشخصيات الرواية الكئيبة البائسة، يخاطب (الشرقاوي) نفسه" هذا عالم بلا أضواء..بوابة الكابوس اقتادتك إلى عالم بلا أضواء، ثم انغلقت عليك فلن تعود أبدا"(٣).

وبذلك تحمل الرواية زمنين كابوسين، زمن قبل غيبوبة (الشرقاوي) زمن ممل ثقيل، "فلتنم فلتنم..فلتنم..في الصباح سيمر الوقت سريعا، وتخلد للنوم من جديد..ستفعل هذا وتواظب عليه٣٦٥ يوما، ولمدة عشرين عاما أخرى فقط، ثم ينتهي كل شيء"(٤)، والزمن مفتوح يشمل مدة بقائه على قيد الحياة، وهو أقل وجعا وقلقا من الزمن الآخر الذي تولده الرواية؛ وهو

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٤٧ .

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٤٦ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٩١ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٥ .

دخوله في العالم المظلم العالم المرعب المخيف في ممر الفئران.

والزمن في الروايات الديستوبيا كرواية (في ممر الفئران) زمن ثقيل يصعب تحديده، لا ضابط له؛ مما يعكس حالة الضياع، ويكشف عن ظلمة الواقع وقسوته، من خلال العالم المظلم الذي بناه في مخيلته، وتنبأ به حين قال: "ستكون ليلة سوداء..البداية مملَّة فكيف تكون النهاية؟"(١)، انفلات الزمن وتفككه يجسد الغموض والحيرة والخوف من الغد،" أمقت الغد.. الغد عدونا المشترك..الغد هو الفراق والتنائي.."(٢)، لأن الأيام تحمل ثقلا وملل وخطرا؛ في كل يوم حالات من الإعدامات ما بين الإعدام بالكلاب والحمض،" فكل شيء في هذا العالم يكفي لإعدامك بلا محاكمة، ربما باستثناء التنفس، ولا شك أنهم سيمنعونه عما قريب"(٣)، فالزمن كابوسي يولد الرعب والفزع، ويعبر عن القمع والقهر، كما بدا في قوله:" ففي التاسعة مساء وقف (الشرقاوي)، وقد وضع العوينات ينتظر، لا معنى بالطبع لليل ولا لنهار في ذلك العالم المظلم"(٤)، وهذا الاغتراب الزماني والمكاني خلع مشاعر سلبية على البطل وجعله يفكر في الانتحار والتخلص من حياته، فالانتحار في اعتقاد (الشرقاوي) خلاص مما فيه من عذاب في عالم الظلام في ممر الفئران؛ علَّه يجد الراحة في العالم الآخر.

وكان زمن الرواية هو زمن المغامرة؛ "فزمن المغامرة يقع في نطاق

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٩ .

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٤٧ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٠٦ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٠٩ .

انقطاع المجرى الطبيعي للأحداث، انقطاع النسق الحياتي، ويترك مجالا لتدخل قوى غير طبيعية[١]. زمن غير متسلسل، محفوف بالمخاطر، فتعمد الكاتب التلاعب بالزمن وجعله مبهما، يتداخل فيه الأزمنة الثلاثة الماضي والمضارع والمستقبل.

ونظرا لثقل الزمن الكابوسي "وظف الكاتب تقنيات زمنية جديدة، من هذه التقنيات: الخلاصة والقطع والاستشراف (التنبؤ) والاسترجاع[٢]، الغرض منها دفع الملل والرتابة عن المتلقي، وتسريع السرد، فاستخدم تقنية الخلاصة أو التلخيص لتسريع السرد؛ حيث اختزل أحداث أعوام في سطرين، قال السارد:" ربما منذ عشرة أعوام، وربما منذ خمسة أعوام لا أحد يذكر بالضبط، فجأة أدركوا أن في حياتهم (قومندان)، وأن لدى الشرطة سيارات، وأن رجالها يرون في الظلام" [٣].

ومن التقنيات التي وظفها الكاتب لتسريع السرد "القطع"، فقال:"قد مرت سنون طويلة على هذه الأحداث، في كل يوم كان الناس يدركون الحقيقة بشكل أكبر..أدرك الناس أن الظلام يتوغل، لقد دخل الناس ممر الفئران..ولن يخرجوا"[٤]، أوجز ولم يفصل الحديث عن السنين الطويلة، وهذا التكثيف يدفع الملل والرتابة عن المتلقي، والتضاد بين (دخل

---

(١) انظر أشكال المكان والزمان في الرواية، تأليف: مخائيل باختين، ص٢٠ .

(٢) انظر بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، ص١١٥.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٨٠.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٥٠.

ويخرجوا) يبرز المعنى يوضحه.

واتخذ الكاتب تقنية الاسترجاع وسيلة للتعبير عن ندم (الشرقاوي) على تمرده على حياته قبل الدخول في عالم الظلام، فقال:" يحلم بحياته كمهندس، يرقد الآن في الفراش جوار زوجته، ويغفو طفلان صحيحا الجسد في الغرفة المجاورة"[١] .

ووظف الكاتب الاستراحة أو الوقفة، "وفيها تتوقف الحكاية وتغيب عن الأنظار، فالوقفة اختلال زمني[٢]، فقال: "وفي المساء ذهب (الشرقاوي) إلى المسكن المخصص للعمال، عنبر طويل تزدحم فيه الأسِرَّة ذات الطابقين، والإضاءة خافتة، العنبر مزوَّد برائحة العرق والأقدام العفنة؛ كأن كل هؤلاء القوم قد تحولوا إلى أقدام حافية عملاقة كريهة الرائحة [٣]، وهنا توقف الكاتب عن سرد الأحداث ليصف العنبر الشبيه بالسجن، كما وظف الصور البلاغية للدلالة على قذارة المكان، وتبرمه منه، فهو غير آدمي، وهذا الوصف يكسر الرتابة، ويوقف تنامي الأحداث ويعطلها، ثم يكمل الكاتب باقي سرد الأحداث.

ولرواية (في ممر الفئران) مكانان غير موجودين على أرض الواقع، نظرا لاختلاف الناس في كل مكان، أولهما مكان سلبي للعالم المظلم، فيه" الظلام في كل صوب ظلام متجانس مخملي..، الظلام في كل صوب ظلام كغاز سام..، الظلام في كل صوب ظلام العجز والخوف والوهن.." [٤]، كرر

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٥٤.

(٢) انظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جنيت وآخرون، ص١٢٧.

(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٥٣.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٦٩ .

جملة (الظلام في كل صوب) لتعميق الإحساس بالظلام الموحش المخيف الذي يعم ممر الفئران، والناس "في هذا العالم المظلم يبدون متشابهين بنفس الذقن غير الحليق والشعر المنكوش والقذارة"(١)، ففي الرواية ذات النزعة التفكيكية "يتشظى المكان توأم الزمان، ويتحول إلى قوة ضاغطة متحالفة مع الزمن، فالمكان مفتت كما هي الشخصيات" (٢)، والثاني: عالم يعيش فوق قمم الهيمالايا ينعمون بالنور، مكان فوق الغيوم، الغيوم تبدو كأرض يمكن أن تترجل وتمشي فوقها، أرض فيها جبال وهضاب ووديان(٣)، شعر العبيد الذين دخلوا عالم النور بالذهول مما فاتهم في الظلام، ربما هم ماتوا ودخلوا الجنة حقا؟ الفتيات بارعات الجمال يركضن حافيات الأقدام، إنهن بنات سادتنا طبعا.. ولدن في الشمس والهواء وتمتعن بالحياة النباتية(٤)، وهناك أماكن ثانوية تخدم المكان الأصلي، مثل قصر (القومندان) فوق جبل (الهيمالايا)، ومنازل الضوئيين في عالم الظلام .

الزمان والمكان في الرواية غير محددين؛ لسردهما أحداثا تخالف الواقع وتناقضه، ومما يدل على ذلك أنه لا يوجد في الرواية ذكر لتواريخ زمنية، أو أماكن محددة، فقد توفر للرواية تلاحم عنصري الزمان والمكان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٢٤ .

(٢) أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، ص١١٣.

(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٢٦٨ .

(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٤٢ .

المبحث السادس

تناقض نهاية الرواية وكثرة تساؤلاتها

يستمر الكاتب في عرض أحداث الرواية من بدايتها إلى أن يأتي بنهاية توذن بتوقفه عن سرد الأحداث، فهي" وسيلة فنية وبلاغية وفكرية، تولد في القارئ الإحساس ببلوغ الغاية" (١).

ونهاية الرواية "ليست بالضرورة هي الجملة الأخيرة أو المقطع الأخير، وقد تبلغ الأحداث نهايتها ويستمر الراوي في الكلام؛ معلقا على الأحداث أو مقدما مغزاها فتكون النهاية مقفلة، وقد يتقطع كلام الراوي قبل الوصول إلى نهاية الأحداث، ومعرفة مآل الشخصيات، فتكون النهاية مفتوحة"(٢).

ولذا لم يكن غريبا أن تكون نهاية رواية (في ممر الفئران) مفتوحة، حيث تضمنت موقفا مناقضا يغاير ما ساقه السارد في أحداث الرواية، فالعلاقة بينهما عكسية تخالف توقع القارئ، "فالفكر التفكيكي يستند إلى التأويل المبني على الاختلاف والتناقض"(٣)، " والقراءة التفكيكية ـــ عند مقاربة نص ـــ لا تقنع بما هو واضح ظاهر من معانيه، بل تبادر إلى تقويضها بالبحث عن معان أخرى تتناقض مع ما هو ظاهر أو مصرح به"(٤)،

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، طبع: دار النهار، بيروت ــ لبنان، ص٨٥.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، ص٨٦.

(٣) التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٤.

(٤) مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٩.

فالتناقض والتعقيد وإثارة الشك من سمات التفكيكية.

فعندما دخل (الشرقاوي) قصر القومندان ليخدم فيه، ومعه عددا من الضوئيين اتفقوا على تفجير المكان، " فيتوريو" ورفاقه قضوا شهرا يسرقون معدات التفجير، لغَّمُوا معظم الأبراج الحاكمة التي تسيطر على العالم كله، وعندما تحين اللحظة سوف يبلغهم ماهر"[١].

الشرقاوي يفكر..الشرقاوي يتأمل..كل هذا سوف ينفجر.. كل هذا سوف يتلاشي، النتيجة النهائية هي الدمار، لا يعرف كيف ولا متى بلغ كبير الحرس، فلن يضغط أحد على أي أزرار[٢]، وليزيد الكاتب من ترابط النهاية، وصف أثر قرار (الشرقاوي) المتخاذل على نفسه في الغيبوبة، " فكان يتلوى في الفراش، والعرق البارد يحتشد على جبينه.. ويئن وضربات قلبه تتسارع.."[٣] .

ويبدو أن العرق أعمى بصيرته، فبدلا من أن يكون (الشرقاوي) مع المظلومين كان مع الظالمين،" لم ينظر له ماهر ورامي باتهام أو احتقار..بدا له هذا غريبا، نظرة الاحتقار الوحيدة كانت في عيني (مها)"[٤]، فكانوا يعتقدون أنه المُخَلِّص لهم من عالم الظلام، وكذلك المتلقي، فإذا به المنقذ لعالم النور، "هو المختار وسيكون القومندان.. القومندان لن يظل فكرة..بل هو الحقيقي..إنه مخلصنا الذي أتى من لا مكان ليحفظ لنا ما نحن

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٦٦ .

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٦٨ ــ ٣٦٩ .

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧٠ .

(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧١ .

فيه"[١]، "فالتفكيك يخلخل العلاقة بين المرسِل والمرسَل إليه، إذ سرعان ما يحتل الثاني محل الأول، ويفرض على ما تركه أو خلفه من أثر معاني ودلالات غير متوقعة، وفقا لضرورات العصر، ومتطلبات التطور والتغيير"[٢].

وهذه النهاية السخيفة تفسر ما كان يشعر به(الشرقاوي) من عدم رضاه عن حياته في بداية أحداث الرواية، وعذابه من الأفكار التي تدور في عقله، فخاطب نفسه: هذه اللحظة يا (شرقاوي) كنت تتشوق إلى شيء لا تدري كنهه..وتقول: "فعندما يبدأون في جراحات استئصال العقل فلسوف أكون أول من يتطوع"، ألم تقل هذا مرارا، الحقيقة أنك كنت تطمع في السلطة في السيطرة"[٣]، لذا لم يبال بمنظر "ماهر وباولا ورامي ورفاقه معلقين بين الجبلين، وقد تدلت جلودهم المسلوخة"[٤] بالفعل نهاية مأساوية صدمت توقع القارئ، وقد أتى الكاتب بالنهاية من دون أن يبرر أو يفسر موقف (الشرقاوي)، ولكن أشار إلى ما يؤكد رغبته في الانضمام لهذا العالم السحري، حين قال لنفسه:" إن لم تستطع قهرهم فلتنضم لهم"[٥]، "فالتفكيك يشكل منطقة خصبة من مناطق عمل الفكر، فبتحليل النص تنبثق منه قدرات

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧٦ .

(٢) جاك دريدا والتفكيك، تأليف: د. أحمد عبد الحليم عطية، ص٢٠٣.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٣٧٥ ، قال أنه يريد استئصال عقله في بداية الرواية، ص١٣ .

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧٦ .

(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٦٨ .

جديدة للفهم والتنوير والتحرير، ويتغير مشهد المعرفة وعلاقات القوة"[١].

ومما زاد من اقتناع (الشرقاوي) بما اتخذه من قرار شعوره في الغيبوبة بعد أن أصبح القومندان" ابتسامة الرضا على شفتيه..أدرك الطبيب أنه بصحة طيبة، وكل أجهزته تعمل بكفاءة.. فقط هو لا يفيق، ومن الواضح أنه لا يفيق أبدا، أما الزوجة التي كانت تطالب بوقف الأجهزة.. هي الآن تبدو سعيدة راضية.."[٢]، وهنا يتبادر إلى الذهن العديد من الأسئلة، "فالتفكيكية فكر إشكالي يطرح السؤال حول السؤال"[٣].

لماذا يبتسم الشرقاوي؟ ولماذا تبدو الزوجة سعيدة راضية؛ على الرغم من علمها أنه لا يفيق؟ هل تذهب إليه في هذا العالم السحري؟.

بيَّن الكاتب موقف (الشرقاوي)، ومصير رفاقه، ولكنه لم يجب على الأسئلة التي تدور بذهن القارئ وتحتاج إلى أجوبة؛ ولكنه تركها للقارئ، وقال:" لا مجال لتلك الأسئلة الميتافيزيقية، لأنها ككل أسرار الكون بلا جواب"[٤].

ونهاية الرواية المروعة مهَّد لها نهاية كل فصل، ففي أغلب فصول الرواية كانت تنتهي بموت العديد من الشخصيات، مثل إعدام العالم (كمال ثروت) بالحمض الذي حاول توليد الضوء بخلايا بيولوجية، وتمزيق

---

(١) هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، تأليف: د. علي حرب، ص٢٨٧ .

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧٧ ـــ ٣٧٨.

(٣) التفكيكية المعنى ــ التاريخ ــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص٢٠٠.

(٤) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٧٨.

الكلاب(لفاتن) لأنها فتحت القداحة، وإعدام (نجوان) لأنها استخدمت قالبا مزيفا للأذن، فالموت يجسد نزعة الهدم، وفي المقابل كان ينضم العديد من النورانيين المطالبين بحقهم في النور، والاتحاد يجسد نزعة البناء، فهناك شخصيات تظهر وتختفي، تصبح مركزا ثم تصير مهمشة وهكذا.

جسدت رواية (في ممر الفئران) النزعة التفكيكية من عنوانها حتى نهايتها، مرورا بشخصياتها المشتتة، وأحداثها المتناقضة عبر زمان ومكان مبهمين غير محددين.

دلالات الغياب المحتملة للرواية

كشفت رواية (في ممر الفئران) عن العلاقة بين الأنا والآخر، بين حال بعض دول العالم العربي الفقيرة، والعالم الغربي ذي النفوذ الذي يستحوذ على خيرات البلاد، بينما يعيش الباقون في الجهل والتخلف، ويؤكد ذلك ما ذكره الكاتب من أوصاف هذا "العالم الذي سكن فوق جبل الهيمالايا حيث نقص الأكسجين، والبرد القارس، ولكن تمَّ جعلها صالحة للحياة بآلاف من أجهزة التدفئة المتناثرة في كل مكان[١]،هذا العالم يمثل الآخر، " فالتفكيكية رفض للهوية والأصول، ونفي لهيمنة الأنا على الآخر، وتعرية للتفاوتات الاجتماعية والطبقية[٢].

فما ذكره الكاتب في النص صريحا يمثل دلالات حضور، وما تعمد السكوت عنه يمثل دلالات غياب، وهذه الدلالات الغائبة المحتملة كوَّنها القارئ؛ محاولا تقديم فكرة هادفة ذات مغزى، في ضوء ما حاول الكاتب التلميح به من قضايا مجتمعية، فمن التفسيرات والدلالات المحتملة الغائبة للرواية:

دلالة دينية

من المحتمل أن يكون انتشار العمى بين الناس في عالم الظلام سببه البعد عن الله عز وجل، دلّ على هذا التفسير قول الكاتب:" قد تخلينا عن ديننا فهلكنا"[٣]، (فالهلاك) هنا رمز لعمى البصيرة الذي أصابهم، وقوله:" قد

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٦١.

(٢) انظر التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، ص ٢٠٠.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٥٢.

عم الشر والخبث، وشاء الله أن يذهبنا ويأتي بخلق جديد"[١]، ونتيجة لتفريطهم في دينهم، وتماديهم في ذلك جعلهم تعودوا على الباطل لدرجة أن" النور آلمهم"[٢]، و(النور) يرمز للحق والعدل والمساواة، ففي غياب الدين يتنشر الفساد والكذب والظلم والغش، كما قال الكاتب:" ففي عالم الظلام الكل يغش الكل"[٣]، فعند بعض الجزارين وجد كلابا مسلوخة كاملة[٤]، يبيعونها للناس، وكذلك الغش في البناء" نفس البناية تم تشييدها عدة مرات، وتنهار دوما في النهاية"[٥]، ولأنه مجتمع أعمي ضعيف فيسهل خداعه،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [٦].

دلالة اجتماعية

من الممكن أن يرمز العمى بين الناس في عالم الظلام إلى الجهل والظلم والفساد والكسل والاتكالية والتخاذل وغيرها من الصفات السلبية التي سيطرت على بعض الدول العربية نتيجة لاعتمادهم على الغرب في كل شيء، ففي أشد اللحظات لحظة سقوط النيزك على الأرض لم تتعال الأصوات إلى الله عز وجل أن ينجيهم، ولكن "للمرة الأولى تعالت في العالم

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص٥١ .
(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٩٣.
(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٠٦.
(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٢٠.
(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٤٣.
(٦) سورة طه، آية ١٢٤.

العربي أدعية غريبة مثل: فلينصر الله أمريكا"[١]، وهذا العُري الحقيقي كما قال السارد" من دون بصر أنت هش واهن حتى لو كان من حولك مكفوفين.. إنه العري الحقيقي وليس عري فقدان الثياب"[٢]، فالبصر يرمز إلى العلم، فمن غير العلم لا قيمة للإنسان، هذا ما لمَّح إليه الكاتب حيث قال:"الفكر مات..العلم مات..كل هذا صار ترابا يعبث فيه الدود"[٣]، والظلام يرمز إلى الجهل، "هكذا كانت العلوم تنقرض بسرعة جهنمية على هذا الكوكب منذ ساد الظلام"[٤]، فالعالم العربي ليس فيه من يتمكن من صنع اختراع يقاوم النيزك ويبعده عن الأرض، حتى إذا وجد منه من يستطيع ذلك فإنهم يستقطبونه للعمل عندهم، وإذا رفض يتربصون به، وقد أشار الكاتب إلى ذلك، وذكر أن العالم"كمال ثروت" جرب أن يستولد الضوء بخلايا بيولوجية، وقد أبلغ عنه جيرانه. لقد ظفرنا به ولسوف يلقى عقابه المستحق، وكان عقابه سرقة أبحاثه وإعدامه بالحمض [٥]، في عالم الظلام الظلام انتشرت اللامبالاة، فالأخ يبلغ عن أخوه، والزوج يري زوجته تلتهمها الكلاب ويتركها، كما حدث مع (رامي) ترك زوجته تمزقها الكلاب.

عرض الكاتب في روايته مشكلة اجتماعية مهمة وهي العمل بالخارج، فدول الغرب وبعض الدول الغنية يستقطبون الكوادر العلمية من جنسيات

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٢٢.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٨٧.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٦٨.

(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٧٠.

(٥) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٤٨ ـــ ٢٤٩.

مختلفة للعمل عندهم، وإغرائهم بالمال الوفير لقلة عددهم، فقال:" الحياة هناك تحتاج إلى عبيد وجوار وخدم..، فحاجتهم للوقود البشري لا تنتهي[١]، وهذا ما سلط الكاتب الضوء عليه، حين "سأل الموظف الشرقاوي ماذا تجيده؟ أجيد العمل الذي يطلبون مني أن أفعله، لا توجد تحفظات..أقبل أي شيء، عبارة محفوظة لكل من تقدم للحصول على تأشيرة من الولايات المتحدة أو دول الاتحاد الأوروبي، من أجل النور سيبيعون كل شيء بدءا بعرقهم، وانتهاء بكرامتهم[٢]، فالنور هنا يرمز للمال، وكانت النتيجة أن (الشرقاوي) عمل في تسليك بالوعة المجاري بعد أن كان مهندسا في بلده، فهذه الكوادر العلمية وجودها في بلدها أنفع لها ولبلدها.

ومن الظواهر الاجتماعية التي انتشرت حديثا ظاهرة الانتحار، والتي تعرض لها الكاتب محذرا منها الشباب الذين بعدوا عن دينهم، وعجزوا عن مواجهة مشاكلهم وحلها، فقال:" في كل يوم كان هناك من يفضل ألا ينتظر الكارثة، ويفجر رأسه بمسدسه أو يثب من فوق بناية شامخة أو يبتلع السم... [٣]

دلالة سياسية

يمكن تفسير انتشار العمى بين الناس إلى غياب قيادة سياسية حكيمة تقود المجتمع كله وتبصرهم بمصالحهم، وتطالب بحقوقهم المسلوبة، فإذا اتحدوا جميعا أصبحوا أقوياءلا يتم هزيمتهم بسهولة، دلّ على ذلك التفسير

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٨٥.

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣١٤ ـــ ٣١٥.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٥٣.

حينما قام النورانيون(ماهر ونجوان ومها ورامي وغيرهم) بثورة ضدّ من يعيشون بقصر (القومندان) للمطالبة بحقهم في النور، ولكنهم عجزوا عن استرداد حقوقهم؛ لأنهم أساؤوا اختيار قائدهم، فاختاروا (الشرقاوي)، ولكنه خذلهم وباع رفاقه.

ظهر هذا التفسير من خلال ما بدا في الرواية من مصطلحات سياسية: الثورة والإعدامات بالحمض وبالكلاب، والاعتقال والعبودية وغارات الشرطة وغيرها.

وكذلك ما بدا في منشور (القومندان) من الإحساس بالخوف والهلع، ففيه ما يجعلك" تكتشف فجأة أنك لست حرا، وأنك خاضع لنظام قمعي قادر على سحقك[١]"، (فالقومندان) شخصية وهمية لتخويف الناس،" كما هم العامة الجهلة في كل مكان وزمان، يعشقون العبودية ويهوون الخضوع"[٢]، لذا يقومون بالتبليغ على أقرب الناس لديهم، ثم أصبح (الشرقاوي)هو القومندان في نهاية الرواية الذي بلغ الحد في الظلم والتجبر.

ويمكن تفسير انتشار العمى بين الناس بتجاهل قضية فلسطين، فحِرْص الكاتب على تحريرها، جعله يلمح إلى ذلك، حيث قال:"إسرائيل تحولت إلى قط محاصر شرس ينزوي جوار جدار، وقد أدركت أن أيامها معدودة"[٣].

دلالة اقتصادية

من الممكن أن يرمز العمى بين الناس في عالم الظلام إلى الفقر الذي تعاني

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٨٤.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٥٠.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص١٤٠.

منه الدول النامية وبعض دول العالم الثالث نتيجة لاستغلال خيراتهم وثرواتهم، "ففي عالم الظلام لا جدوى من المجوهرات[١]، فالمجوهرات ترمز إلى الخيرات والثروات، والناس في عالم الظلام فقراء كأسرة (رامي المليجي) لا يدركون النفيس الغالي ولا يستفيدون بالخيرات، ومن الخيرات المسلوبة: الآثار،" لم يكن أحد يعرف أن المتحف المصري صار خاويا، أين ذهبت هذه الثروات؟ على الأرجح هي هناك في جبال الهيمالايا، إن القومندان قد قرر أن يحب الفنون بالإضافة إلى نفوذه"[٢]، (القومندان) يرمز إلى دول الغرب، فقد ذكر أنهم "يملكون هنا آثار العالم كلها ما عدا ما لم يتم نقله، لايقدرون على نقل الهرم طبعا"[٣]، ومع كل ذلك يدعو الكاتب إلى ضبط النفس والمحاولة بكل السبل التصدي والتحدي، حتى وإن لم نتمكن من منافستهم فعلى الأقل الصمود أمامهم،" مهمتك الوحيدة هي ألا تلتهمك الفئران الأخرى"[٤]، وربما قصد بالفئران الأخرى الدول الغربية، وبثَّ الأمل في النفوس، فقال:" سوف تبدأ البشرية من جديد على قواعد متساوية، ولن يكون هناك أثرياء وفقراء، صحيح إنك لن تكون موجودا لكنك ساهمت بدور ذرة رمل في الغد، غد لن يراه أطفالك لكن سيراه قوم آخرون"[٥]، فالحلم بالتغيير وتحقيق العدالة تنبأ به الكاتب ولكن في المستقبل البعيد جدا .

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٧٧.
(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٨٧.
(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٤٥.
(٤) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢٤٧.
(٥) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٩١.

دلالة تكنولوجية

يمكن تفسير انتشار العمى بين بعض الناس في عالم الظلام إلى سوء استخدام التكنولوجيا، وعدم توفرها وقلة الأيدي العاملة القادرة على التحكم فيها وتوظيفها في كافة المجالات، فالوسائل التكنولوجية الحديثة تحسن فرص التعليم، وتتيح إمكانية التعليم عن بعد، كما أنها توفر الوقت والجهد وتسهم في التنمية والتسويق، وفي المجال الطبي، وعدم وجود مثل هذه الأجهزة الالكترونية الحديثة في الدول النامية يجعلها تغرق في عالم الظلام والجهل والفقر، وممَّا يدل على تقدم دول الغرب في المجال التكنولوجي؛ ما أشار إليه الكاتب في قوله:"هناك جهاز كمبيوتر عملاق كلي القدرة، يستطيع أن يراجع بيانات الجميع.. وبوسع الجهاز أن يعرف كل شيء عنك[١] .

دلالة جمالية

يمكن تفسير انتشار العمى بين بعض الناس إلى افتقاد الجمال، هذا ما لاحظه الكاتب فدعا إلى ضرورة العودة إلى الجمال والفن والذوق الرفيع، بدا ذلك في قوله: "لاحظ (الشرقاوي) أن القذارة تعمّ كل شيء، فلا أحد ينظف أو يتأنق، فقط هناك تنظيف من أجل الروائح"[٢]، وقال :" عالم لا يبصر هو عالم لا يهتم البتة بمظهره"[٣]، وحذَّر من عدم الاهتمام بالنظافة والجمال، لما يؤدي ذلك من انتشار الأمراض المعدية، فقال:" هذا عالم لا يعرف التأثير بالمطهر لأشعة الشمس، كل شيء يفسد ويتعفن ويتخمر؛ لهذا

---

(١) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٣٠١.

(٢) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٢١٩.

(٣) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ٩٣.

سادت الرائحة الكريهة بقاعا كثيرة من البلاد"[١].

والكاتب بوصفه طبيبا سلط الضوء على انتشار مرض السرطان، فجعل أغلب شخصيات الرواية لقيت حتفها إما بالإعدام، أو الإصابة بالسرطان، فأخت رامي (عزة) توفيت لأن سرطان الثدي فتك بها[٢]، وقبل وفاتها قالت لابنها إنها لا تعرف إن كان والده حيا أم أن السرطان قد قتله بدوره[٣]، ممَّا يدل على انتشاره بصورة كبيرة.

هذه هي أهم الأفكار والتفسيرات التي حاولت تركيبها بعد قراءة الرواية قراءة متأنية متعمقة، دون الاعتداد بالخارج النصي، وهناك العديد من الدلالات الغائبة،"فكل قراءة هي إساءة لقراءة، لا يعني أنها غير صحيحة، أن كل قراءة صحيحة إلى أن تفك القراءة نفسها، أو تجيء قراءة أخرى تفكها لتصبح إساءة لها"[٤]، وهكذا....

---

(١) رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٥٩ ـــ ١٦٠.

(٢) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٧٦.

(٣) انظر رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، ص ١٧٧.

(٤) مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، ص١٩٢.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أعذب النـــاس لســـانا وأكرمهم أخلاقا، وعلى آله وأصحابه أجمعين . **أما بعد** ،،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى وتوفيقه من إعداد هذه الدراســة، والتـــي موضوعها بعنوان [رواية في ممر الفئران للكاتب أحمد خالد توفيق(١٩٦٢ ــ ٢٠١٨م) في مرآة المنهج التفكيكي]، وقد أسفرت هذه الدراسة عن كثير من النتائج أهمها:

- إن الرواية المعاصرة عكست الوضع القـــائم فـــي المجتمـــع العربـــي، فبمقدورها التعبير عن قضاياه ومشاكله بأسلوب غير مباشر.
- إن الرواية المعاصرة يمكن قراءتها قراءات عديدة وبرؤى مختلفة، ولكن هناك قراءة محددة تتناسب مع سياق الرواية.
- إن القراءة التفكيكية تجعل النص القابل للتفكيك ينفتح على معـــان غيـــر محددة، وكلما شعر القارئ أنه أمسك بالمعنى انفلت منه وحضـــر معنـــى آخر، وهكذا عبر آلية الهدم والبناء.

ــ ليست كل الروايات قابلة للتفكيك، فالروايـــات التـــي يلفهـــا الغمـــوض والحيرة، وتثير الأسئلة تقبل التفكيك، وعلى القارئ أن يعثر على الإجابـــة في داخلها.

- تعتمد القراءة التفكيكية على تفاعل القارئ وتجاوبـــه، فـــدوره تفســـير الأحداث وتكوين دلالات من الأحداث المشتتة المضطربة.
- إن الكاتب أعطى القارئ فرصة المشاركة في إبداعه الفني، حيث تـــرك فجوات في العنوان، وفي كثير من أحداث الرواية؛ ليكمل كل قارئ ما يراه

مناسبا حسب ثقافته ورؤيته للقضايا، وهذا التفاعل يمنح العمل الفني الحياة والجدة.

- كان الزمان والمكان مبهمين في الرواية، عن قصد من الكاتب، لجعل أحداث الرواية تصلح لكل زمان ومكان.

- أهم ما يميز الرواية ذات النزعة التفكيكية شخصياتها المشتتة المنفصلة عن الواقع المضطربة نفسيا، المصابة بعقد كثيرة، وهذا ما تعمده الكاتب ليبني فكرة مغزاها أن المجتمع المفكك يخلق جيلا ضعيفا، يعجز عن اتخاذ قرارات صائبة.

ـ وظف الكاتب في الرواية تقنيات السرد، ونوَّع في صيغه التعبيرية، وأكثر من الوصف الساخر بين أحداث الرواية.

ـ إن اللغة في الرواية لغة شعرية استعارية، لغة موحية غنية بالدلالات والرموز، الدال فيها يتعدد مدلوله، مما يتيح اللعب الحر للمدلولات.

ـ استطاع الكاتب أن يمرر مخاوفه من مشاكل وظواهر ربما تحدث في المستقبل، في ثنايا روايته، مما يدل على حرصه على قضايا مجتمعه.

وبعد..

فهذا الجهد، ومن الله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب الحديث الشريف

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ــ عادل مرشد وآخرون، إشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة الرسالة، ط١، ١٤٢١ه.

ثالثا: الكتب المطبوعة

أ ــ المصادر

٢. رواية في ممر الفئران، تأليف: أحمد خالد توفيق، طبع: الكرمة للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.

ب ــ المراجع

٣. أشكال المكان والزمان في الرواية، تأليف: مخائيل باختين، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠م.

٤. أنماط الرواية العربية الجديدة، تأليف: د. شكري عزيز الماضي، طبع: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ٢٠٠٨م

٥. بنية التفكيك في الرواية العربية، للباحثة نهى محمد جميل عبد الغفار، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٣م.

٦. تشكيل الشخصية في الرواية الديستوبيا، تأليف: نجدي عبد الستار محمد نجدي، الناشر: المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، العدد التاسع، أبريل ٢٠٢٠م.

٧. التفكيكية المعنى ـــ التاريخ ـــ المرتكزات والرواد، تأليف: جميل حمداوي، الناشر: مجلة الأزمنة الحديثة، العدد٧، المجلد ٦.
٨. التفكيكية المفهوم والنظرية، تأليف: نانية لطروش، الناشر: جامعة حسيبة ابن بوعلي، مارس ٢٠٢٠م.
٩. التناص في السخرية الأدبية عند أحمد خالد توفيق (دراسة نقدية)، تأليف: إسلام عبد اللطيف إبراهيم محمد، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٢٢م.
١٠. جاك دريدا والتفكيك، تأليف: د. أحمد عبد الحليم عطية، طبع: دار الفارابي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
١١. خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تأليف: جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
١٢. كتاب وروائيون عرب في أدب التخيل العلمي، تأليف: محمود قاسم، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٢٢م.
١٣. الكتابة والاختلاف، تأليف: جاك دريدا، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، طبع: دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
١٤. لسان العرب، لابن منظور ت ٧١١ه، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبع: دار المعارف، القاهرة.
١٥. مدخل إلى علم التفكيك، تأليف: ميشل رايان، جوناثان كلر، وآخرون، تحرير وترجمة: حسام نايل، طبع: الهيئة العامة لقصور

الثقافة، القاهرة ٢٠٠٨م

١٦.المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ــ تأليف: د/ عبد العزيز حمودة، طبع: عالم المعرفة، أبريل ١٩٩٨م.

١٧.معجم مصطلحات نقد الرواية، تأليف: د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، طبع: دار النهار، بيروت ــ لبنان.

١٨. مناهج النقد الأدبي الحديث ــ رؤية إسلامية ــ تأليف: وليد قصاب، طبع: دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه ـــــ ٢٠٠٩م.

١٩. نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تأليف: جيرار جينيت ـــ واين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٢٠.نقد وحقيقة، تأليف: رولان بارت، ترجمة د/ منذر عياشي، طبع: مركز النماء الحضاري، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٢١.هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، تأليف: د. علي حرب، طبع: دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.